سعيد عقل

شعرُه والنثر

المجلّد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التبادعية

نوبلِس

سعيد عقل

شعرُه والنثر

المجلد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التبادعيّة

نوبِليسُ

للمؤلف

بنت يفتاح الطبعة الأولى ١٩٣٥ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة)

المجدلية الطبعة الأولى ١٩٣٧ ـ الطبعة الثالثة ١٩٩١

قدموس الطبعة الأولى ١٩٤٤ ـ الطبعة الرابعة ١٩٩١

رندلى الطبعة الأولى ١٩٥٠ ـ الطبعة الخامسة ١٩٩١

غد النخبة الطبعة الأولى ١٩٥٤ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة)

أجمل منك لا الطبعة الأولى ١٩٦٠ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة ومزيد عليها)

لبنان ان حكى الطبعة الأولى ١٩٦٠ ـ الطبعة السادسة ١٩٩١

كأس لخمر الطبعة الأولى ١٩٦١ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١

اجراس الياسمين الطبعة الأولى ١٩٧١ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١

كتاب الورد الطبعة الأولى ١٩٧٢ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١

قصائد من دفترها الطبعة الأولى ١٩٧٣ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١

دلزى الطبعة الأولى ١٩٧٣ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١

كما الأعمدة الطبعة الأولى ١٩٧٤ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مزيد عليها)

الوثيقة التبادعية الطبعة الأولى ١٩٧٦ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١

خماسيات الصبا الطبعة الأولى ١٩٩١

المجلّد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التباديّة



كما الأعمدة

الطبعة الاولى ١٩٧٤

الطبعة الثانية ١٩٩١

لي صَخرةٌ

مِن أين، يا ذا الذي آستسمَتْه أغصانُ،
من أيـن أنتَ، فَداكَ السَّرْوُ والبـــانُ؟

إن كنتَ من غيرِ أهلي لا تَمُرَّ بنا،
أوْ لا فما ضاقَ بابنِ الجارِ جِيرانُ !

---

* « لي صخرة »، « سائليني »، « غنيت مكة »، « نسمت »، « شام يا ذا سيف »، « مُرَّ بي » كلها قصائد تُغنّي بها فيروز.

ومن أنا ؟ لا تَسَلْ. سمراءُ مَنْبِتُها
في ملتقى ما التقت شَمْسٌ وشُطآنُ.

لي صخرةٌ عُلِّقَتْ بالنَّجم أَسكُنُها
طارَتْ بها الكُتْبُ قالَتْ: تلكَ لُبنان !

تَوَزَّعَتْها هُمومُ المَجدِ فَهْيَ هوىً،
وَكْرُ العُقابينِ تَربى فيه عِقبانُ.

أهلي، ويَغلون، يَغدو الموتُ لعبَتَهم
إذا تَطلَّع صوبَ السَّفْح عُدوانُ،

من حَفنةٍ وشذا أرزٍ كِفايتُهم،
زنودُهم إن تَقِلَّ الأَرْضُ أوطانُ.

هل جنَّةُ الله إلا حيثُما هَنِئَت
عيناكَ ؟ كُلُّ اتِّساعٍ بعدُ بُهتان.

هُنا على شاطئٍ أو فوقَ عند رُبىً
تفتَّح الفِكْرُ قلتَ: الفكـــرُ نَيسانُ !

دنيـا الـى نُقطـةٍ شُدَّت ومـــا هَرَقَتْ
دَمـاً، ألَا إنَّ خُلْـقَ الحُـرِّ سُلطـــان !

*

كنّـــا ونَبْقـــى لأنّا المُؤمنـــون بهِ
وبعـدُ ، فَلْـيَسَعِ الأبطـــالَ مَيْـــدان !

على شاطئ الذات

بعيداً، على شاطئ الذات،
في غَمْضَةِ الأشهُبِ،

حوالى مَطَلّ الوُجود،
في العَبَق الطَّيِّب،

هنالك، والآنُ بين
المُمَهَّل والمُستَهَب،

شددْتُ يَدَ السِّرِّ وَهْوَ
على المَهد بعدُ غبي.

*

أنا ابنُ الدهور، ابنُ لبنانَ،
وعيُ الخليقةِ بي،

أنا جُبْتُ ذاتي وأفرغتُ
أُغنيَّةَ المَطلَبِ،

نَهِلْتُ الذُّهولَ، نهلتُ
شحوبَ الفتى المُتعَبِ،

وصمتَ المساءِ يَلُفُّ
اليتيمَ وقَبْرَ الأَبِ،

نَهَلتُ الشَّقاءَ المُهِلَّ
جميلاً كوجهِ نَبي.

أنا ثَرْوَةٌ كالكآبة
عُمقاً وكالغَيْهَبِ،

غنيٌّ أُحِسُّ الوُجودَ
غُباراً على ملعبي.

يقولون: قافلةٌ،
هنالِكَ، لَمْ تُغْلَبِ،

تَشِيدُ على الفَتْحِ أَثبَتَ
من مَجدِكَ الخُلَّبِ،

لها صفحةُ الأَرْض مرمىً،
وناصيةُ الكوكب.

قُلِ :الفتحُ غمسُكَ في الذات
كَفّاً من الصُّلَّبِ،

ورشفُكَ نفسَكَ رشْفَ
العتيقِ من المَشْرَبِ،

كأنَّك حُلْمُكَ ضُمَّ
إليكَ... ولم يكذِب !...

أجملُ الأعراس

ذكّرنَني، شجَراتِ، اللوز، بالأبيضْ،
بثوبِ إكليلها وهْيَ اليمامُ البضْ،

بها... تخطَّرُ... تسترخي مدلَّلةً
على ذراعِ فتىً كاللَّيثِ إنْ ينقض.

سَيْفٌ وبحرٌ معاً حتى لتعبدُه،
تقولُ: طَرْفُ الردى إمّا التقاه غض.

مَلاكُــه هيَ، إن دسَّت أَناملَهـــــا
بين الورود استحى شوكٌ لها وارفض...

الله يا شجـراتِ اللَّــوز، غَرْنَ ولا
تَغَرْن... فالحُسْنُ أَشْهى الحسن ِ ما أمرض!

مِن الزمانِ أَراهـا اليـومَ راجعـةً
تمشي الـى بيتنا في طَرْحـةٍ أَعـرض.

ودِدتُ لو أتلقّاهـــا وأحبِسَهـــــا
في القلبِ شقراءَ شُقْرٍ كالشعاعِ الغض،

أُغنيَّــةٌ هيَ في بالـــي وأَسمعُهــــ
مهبَّ ريحٍ دنا أَو ناسِمـاً أعـرض...

لا لا تخيَّلتُهـا إلا وزَنْـــدُ أَبـــي
يلُفُّ منها عروساً خصرُهـا ينـهض...

فخر الدين الثاني

يا اندفاعَ الأَمواجِ في شاطئِ البوسفور،
رِفْقاً بذكرياتِ الأَميرِ !

ببقايا حُلْمٍ تفوَّفَ بالصُّبح،
وألوى، فالصبحُ مأتمُ نور،

فيه من وثبةِ الجريحِ الى الثأْر،
وفيه من احتضارِ النسور !



هو فخرُ الدينِ، الفتى، يقرأُ الأيامَ
في قولِ خازنيٍّ وَقور،

فيرى الأمسَ من مذابحَ حُمْرٍ
نافراتٍ على ممرِّ الدهور.

جَدُّه، قِبْلةُ الشموس، قتيلٌ،
وأبوهُ، دنيا أسىً، في حفيرِ،

والدُّروزُ الأُباةُ يُغْويهمُ السيفُ،
فيستقبلونه بالصُدور،

وإذا وجهُ عين صوفرَ أشلاء،
وآفاقُها بلون الزفير،

ويغضُّ الأميرُ طَرْفاً، ويُخْفي،
خلف جفنيه، هَزَّةً للعصور.

*

بسَمَ الدهرُ للشريد، وأعلى
العرشَ، ظمآنَ، للأميرِ الصغير،

أرضُ لُبنانَ حَفْنَةٌ، إنما ملعبُ
عينيهِ بَعْدَ بُعْدِ الضمير،

عصرت قلبَهُ حدودٌ دوانٍ
فرآها على شَفا المعمور،

واستثارَ الأبطالَ يَستلهمون
المجدَ... دوري بهم، ذرى المجدِ، دوري!

سالَ فيهم شاطي طرابُلُسٍ، وانشقَّ،
تِيهاً، عن أنجمٍ في مسير،

وتداعى عرشُ ابن سَيْفا الى التُّربِ،
وخلَّى الصَّدى بِصُمِّ الصخور،

فاذا يُنصِتُ البنونَ الى الموجِ،
يُحسُّونها قناً في الهدير!

*

وتنادَوْا من الشّمالِ الى زحلةَ
يسترفدونها في الكُرور،

فيهبُّ الشجعانُ ضجَّ لهم سيفٌ
وغنّى رمحٌ سيبقى سميري...

دانَ مجدُ الفُريخِ، دانَ شَفا
الأُردنِّ، في وثبةٍ ونفخةِ صور.

عُصْبَةٌ بُسَّلٌ رَمَوْا بالمواضي
عند قبرِ المسيحِ، رمْيَ النُّذورِ،

قيل: حجٌّ! وقيل: شوقُ سُيوفٍ
نزلَتْ في النُّهى نزولَ النُور.

*

كاد وجهُ الأَمير يَحجُبُ من مجدٍ
عريقٍ، على السُّهى منشور!

كاد لبنانُ يلتقي العاليَ البابَ
بزَنْدٍ سَمحِ الفُتولِ، قدير!

فتلوَّت أَستانةٌ روعةَ الواجف
هزَّتْهُ غَصَّةُ المقهور،

حلَمتْ بالشواظِ يُمْطِرُ لبنانَ،
وبالكرِّ بالعديدِ الوفير،

فإذا البَرُّ من غُبارٍ عُبابٍ،
وإذا البحرُ من دُخانٍ حَرور،

مِن عِدىً بُكّرِ العَتادِ، تكاد
الأَرضُ ترنو إِليهم بنفور.

لم يَرُعْهُ التقاؤُهم وعلى الكفّ
فؤادٌ له حبيبُ الكرور،

راعه حُلمُه تُحطِّمُه الأَقدارُ،
طفلاً في هدهداتِ السرير،

فامّحى عن عَدِيِّهِ، يكظِمُ الغيظَ
اشتياقَ اليومِ الكبيرِ الكبير.

*

بينما الناس هُيَّمٌ بِعليّ
وَلَدِ السيف، حَدُّه المستطير،

كان في مقلَبِ النهارِ أَميرٌ
مُجهَدُ الطَرْفِ، مجهدُ التفكير،

يتلوّى على الخريطة، حُلماً
شائعاً في خطوطِها والسطورِ،

مُتْعَبٌ، يَفجُرُ الأَسى مِحْجَرَيه،
وتداويه بسمةُ المحرورِ،

تعتريه، شوقاً الى مجدِ لُبنانَ،
ارتعاشاتُ مطلبٍ مأسور

ويودُّ التقاءَةَ الأَرز بالوهم،
فيَجري به الى البوسفور،

واذا بالنهارِ يستبقُ الليل،
ويطفو في قلبه الموتور،

فتقول الخريطةُ ارتقصتْ زهواً،
وطارتْ من كفّه في سرور !

حَملَته الى شواطئِ لُبنانَ،
أُواذِيُّ من منىً وحُبور،

والتقاه البَلاطُ مولىً سيحمي
جبهةَ التُّركِ من عدوٍّ مُغير،

« شَفيتْ من طموحه » مقلتاهُ،
وتعرّى من الخيالِ الخطير،

لو رأَوْا في البَلاطِ نوراً لكبُّوا،
في خضمِّ البوسفور، باِزَ القصور !

*

داسَ في أَرضه الأَميرُ، فراح
الجبلُ المَيْتُ في ثيابِ النشور،

وسرت رِعشةٌ بلُبنانَ هزَّت
من ذُرى أُرزه الى صخرِ صور:

أُمَّةٌ تستردُّ مجداً سليباً،
وأميرٌ يلهو مع المقدور.

يا حِجاراً خوافتَ اللونِ في لُبنانَ،
قُصِّي كتابَ عهدٍ نضير!

قَلعاً كنتِ، ضاحكاتٍ من النَّجم،
حساناً، ممرَّداتِ الخصور،

أنت تَيرونُ! أنتِ عجلونُ! أنتِ
المَرْقَبُ السَّمحُ ماطراً بالسعير!

أنا ما دُستُ مرَّةً حجراً منكِ،
ولم أنتفضْ لذكرى الأمير!

حَدِّثي! حدِّثي! ففي لونكِ الناحِل
أطيافُ جيشِنا المنصور!

سالَتِ الأَرْضُ بالخيولِ مَعَ الأُردنِّ،
سالت مع الخيالِ النَّفورِ،

تزرعُ الرايَ خافقاتٍ، من العاصي
الى المْيتِ، ضاحكاتِ النُّشور،

ومن الأَبيضِ الكبيرِ الى تَدْمُرَ،
رقراقَةَ السنى والحُبور.

ضحكتْ، يومَ عنجرَ، الأَسَلُ السُّمْرُ،
وشكَّتْ قلبَ الضحى المستجير،

لَجبٌ طيِّبُ العَتادِ التقته
باقَةٌ من شبابنا الممرور،

سايفته،لا قَطْعُها قَطْعُ جُبنٍ
رامحته،لا شكُّها شكُّ زور.

أَجفَلَ السهلُ للطِّعانِ، وأُغضى
وجهُ حَرْمونَ للدم المهدور،

ينثرُ السيفُ قِرنَهُ، فتخالُ
الأنجمَ الحمرَ من حُسامٍ نثير،

وتخالُ الأَميرَ، في جَيشِهِ العابسِ،
يمشي على ابتسامِ الثغور،

ظلَّ هَزْجُ الفرسان يلعبُ بالليل
الى سفرةِ الصباحِ الطرير،

فاذا صبحُ مصطفى، قائدِ التُّركِ،
حزينُ السنى، حزينُ السُّفور،

ما رآه الأَميرُ إلا التقاه
بسخيٍّ في كفه، موزور،

ضربَةٌ منه سمحةٌ كبَّتِ الفارسَ
في قلبِ جيشه المدحور،

وأَطلَّتْ شمسُ الغَمامِ، فحيَّت
جُنْدَ لُبنانَ بالشعاعِ الغرير،

ما انتهى مصطفى فقال ابنُ مَعْنٍ:
« يُعْطِكَ اللهُ، لستَ لي بأَسير،

أنتَ حرٌّ! فطِرْ الى الشمسِ قلباً
واملأْ العينَ من سنى التحرير! »



نكَّستْ هامَها الجبالُ، ودان
الشرقُ للمستقلِّ فيه، الجدير.

وجهُ فخرِ الدينِ انتفاضةُ قلبٍ
مستهامٍ الى الخيالِ، كبير،

قِدَّةٌ من جبالِ لُبنانَ، في الليل،
ومن ضحكةِ القنا في النحور،

يعتلي صهوةَ الجَوادِ عَبوساً،
فعلى الشرقِ رِعشةُ المخمور،

ويذوبُ الصهيلُ في سمعِ أسْتانةَ،
نجوى جِداً ونجوى نفير،

أيخلِّي مرادٌ الرابعُ العرشَ
على وهدةِ الردى والشفير ؟

أيخلِّي أميرَ لُبنانَ تيَّاهاً،
يشكُّ البندينِ في البوسفور ؟

حُلُمٌ في خيالِ لُبنانَ رحْبٌ،
رعرعَتْه فينيقيا في الصدور:

سُفُنٌ تمخرُ العُبابَ وتُبقي
الهِرقليَّاتِ، خلفَها في قصور،

تقصدُ القُطْبَ، والشواهقَ في القطب
تؤاخي مناجماً في بكور،

وتدورُ اعتزازةً حول بِكْرِ الأرض،
تُغري النُّضارَ من أُوفير،

تزرعُ المُدْنَ في الشطوطِ، تربِّي
قاهرَ المستحيل رمزَ القدير.

ويتيهُ السلطانُ في حُلْمِ لُبنانَ،
فيُلوي على جِسامِ الأمورِ.

*

حملةُ اليوم، لو تكونُ للُبنانَ،
لردَّته سيِّدَ المعمور !

مِن رجالٍ أَوْفَوْا على الهمِّ عَدًّا،
وسفينٍ أَربت على التَّقديرِ،

فاللَّهيبُ اللَّهيبُ يُمطرُ لُبنانَ،
ويرميه بالردى والدُّثور،

ويخلِّيه شعلةً من صخورٍ
بعد أَن كان شعلةً من زهور،

وحوالى الأَميرِ من كاظمٍ قَسْراً،
ومن حاسدٍ أَتيِّ الشرور،

أَعينٌ يخنقُ السنى لفتةً منها،
فتُغضي على مُرادٍ ضرير،

ما اطمأَنَّتْ للتُّركِ يولونها القوةَ،
إِلَّا تفجَّرت عن قبور،

العِدى في رجاله، والعِدى التُّركُ
بحورٌ إليه إثرَ بحور،

يلتقيهم لبنانُ بالعُصبةِ البُسَّلِ
تاقوا الى الطِّعانِ الأَخير،

فيموتون عن نفوسٍ كبارٍ،
وينامونَ ملءَ طرفٍ قرير.

قلعةٌ إثْرَ قلعةٍ تُسْلِمُ الأبراجَ،
إلَّا تَيرونَ، أُختَ النسور،

معقِلُ الحُلْمِ كم أبت أن تَداعى،
هُزُؤاً بالزمان والمقدور،

ما رماها الأَميرُ بالدمع، لولا
السُّمُّ في مائها الزلالِ النمير،

ورعته بطرفها ورعاها
في وداعٍ أُدمى غناءَ الطيور،

ومضى، سيفُهُ كسيرٌ بأَستانةَ
مُخضوْضِبٌ بحلْمٍ كبير !

*

يا اندفاعَ الأَمواجِ في شاطئِ البوسفور،
رِفْقاً بذكرياتِ الأَمير !

الهُنَيْهَة

عالَمٌ طيّ نَغَمْ،
يتحدَّاهِ العدمْ،

ضَمَّةُ القَبْلِ إلى البَعْدِ
بعُمْرٍ مُتَّهَمِ

دقَّ كالبرقة، شُكَّت
خيمةً فوق الأُمم،

لا وثوبٌ في ظنونٍ
لم يُفجّرْهُ هِمم،

أو بِناءٌ من خيالٍ
لم يُرغرِغهُ شَمَمْ،

يُخصِبُ الفِكرةَ يستنطقُها
السِرُّ الأصمْ،

ويعرّي بيديه
الشمسَ في قلبِ القَتَم.

*

وإذا نحنُ، الى الله،
شِراعٌ في خِضَمْ !

تكسّرت الأسيافُ

تصبَّاكَ شِعري، قلتَهُ قِمَمَ المجدِ،
سلامٌ عليه السَّيفُ أُعجِبَ بالغِمْدِ !

وقلتَ به ما صيَّر الآهَ وردةً
وأنتَ جِراحُ الآهِ، يا نسمةَ الوردِ !

---

* في يوم امين تقي الدين.

حَبَبْتُكَ، ما حُبّي الشهامةَ ؟ ما الغِوى
بأَهلي وبالقِمّاتِ من جَبَلي الفَرْدِ ؟

أَنا، بعدَ ما عَلَّمْتَنِيهِ، تطَلَّعَتْ
جهاتي إِلى نفسي ونفسي إِلى الزُّهدِ.

هُناكَ التقينا وافترقنا،... جراحُنا
لتبنيَ، لكنْ أَنتَ تسكرُ بالوعدِ،

وأَقسو أَنا أَقسو، أُريدهُمُ لها،
فإِن جَبُنوا طُلْتُ الجناحينِ لي وحدي.

*

كأَنّي مهبُّ الرّيحِ، والصَّعبُ منزلي،
وشُغْلِيَ حَطُّ الحُسْنِ في الحَجَرِ الصَّلْدِ.

كأَنّي غموضُ الليلِ، لم يَبْقَ عازفٌ
لِجنّيَّةٍ إِلّا ورقْصها عندي..

أَقولُ: الحياةُ العزمُ، حتَّى إذا أنا
انتهيتُ تولَّى القبرُ عزميَ من بعدي

وأقرأتني يوماً كما لو من الصَّدى،
ومن كاعبٍ في الشِّعر عاليةِ النهدِ،

لَتفدى الحياةُ استُجمِعَت في قصيدةٍ
وغَنَّت وردَّت... فانتشى الأُفقُ من ردِّ...

تقول بها: « خَبَّأْتُ يا ليلُ فيكَ... » ولْيُكَمِّلْ
ويَفْنَ الليلُ في النَّغَمِ الرَّغْدِ!..

تعاظَمَني ما ظَلَّ منها وما انتهى
ويُعدي، وعينيكَ، البهاءُ به، يُعدي...

وصِرنا هيَ الدِّفلى... وصِرنا أنا الندى
ونُنقَشُ من ديوانِ شعرٍ على الجِلْدِ

ذَرُوني... سأَطوي قصَّتي مع قصيدةٍ
الى أن يطيبَ العُودُ في نَقرةِ الكُرْدِ.

*

ويا أَيُّها الدِّيوانُ ضَمَّ شمائلاً
كما ضمَّ موجوعَ العَرارِ ثرى نَجْد،

تَنزَّلْ تُخَلِّ الشِّعرَ أَشْعَرَ، والهوى
أرقَّ، وذاكَ المنحنى جنَّةَ الخلد !

لِحِبْرِ هَمي كالضوءِ عن جَرِّ ريشةٍ،
تطلعَّتِ الأَقلامُ تَنهلُ مِن نَدّ...

هُو السَّفْحُ يُستهوى، على أَنه الذُّرى
إذا قُصِدَتْ خلَّت لُهاثاً على القَصْد،

كذا طُرُقُ الأَبطالِ في القولِ والوغى
وما سَهُلَتْ أَلّا جبانةُ مُرتَدّ.

إذا نَقْطُ حرفٍ شاءَهُ رَبُّ مِرْقَمٍ
أنيقاً، فقلْ عينٌ تَعذَّبُ من سُهْد.

تعالتْ يَداهُ شاعِرٌ، كلُّ نَسْمَةٍ
تُلِمُّ بما أخفاه، تَشقى بما تُبدي،

وَلُوعٌ بأنغام السُّكوتِ يَصبُّها
لِمِلَّةِ رَفْضٍ، يُسْكِرُ الضِدَّ بالضدِّ،

أنا واحدٌ منهم، فلولا أنينُه
لكانتْ لِقِرطاسي جفاءَةُ مُعْتدّ.

يقولون بي غالى ؟ أنا بَعْضُ نُبْلِهِ
وأنظِمُ، عيني في قصائِدِهِ المُلْد...

سَليلُ الأُولى قيلوا السيوفَ[1]، رَنَتْ لهم
جِبالٌ وقال الحقُّ: مِن بعضِهِمْ جُندي.

---

[1] الدروز.

على ريفِ لُبنانَ، نَمَوْا مثلما نما
الضياءُ، وسالَ الفَجْرُ في القِمَمِ الجُرْدِ،

وأنَّى مَضَوْا ظَلُّوا بلبنانَ قلبُهُمْ،
ويَصبو الى أرْضِ العرينِ هَوى الأُسْدِ.

يُشرِّقُ شَطٌّ أو تُغرِّبُ مَوْجَةٌ
وهم عنفوانُ الصخرِ ليس الى شَدٍّ.

أنا اليومَ منهم في قصيدةِ شاعرٍ
لَتسكُنُني كالريح تَلْفَحُ من بَرْدِ.

أعودُ اليها الآنَ، هل طابَ نَقْرُهُ
على العودِ، ذاكَ الغارسُ القُرْبَ في البُعدِ ؟

وذاتِ دَلالٍ كلَّ صُبْحٍ تَزورُني
فأقرأُها مِن أخْمَصَيْها الى العِقدِ،

الى جَبْهَةٍ باقٍ على الشمس ظِلُّها،
إليها جميعاً إذ تَعَرَّى مِن البُرْدِ:

هنا مِثْلُ قَوْسٍ ضاربٌ فوقَ هُدْبِها،
هنالك صُبْحٌ صيغَ مِن سَكْبَةِ الزَّنْدِ،

وتَعذُبُ... لكنْ ليس تَسْهُلُ، صعبةٌ،
فتُعطي ولا تُعطي، مُلعَّبَةَ الصَّدِّ

بِقَدٍّ تسامى زنبقيًّا فإنْ هوى
وأَوجعَ... قُلتَ اللحنُ ماتَ مع القَدِّ.

وتَقْلَقُ دوماً ليس تهدَأُ، فهْيَ لي
ولِلوجد أَو للمجد، أَشهى من الوجد !

وزِيدَ عليها مِثْلُ لا شيءَ، مِثْلُها...
كما لَفْحَةٌ تَنْسَى الإله على الخَدِّ.

ويَزْلَقُ بي طرفي... أَشَلَّالُ لُؤلُؤٍ
سنى الجِسْمِ مَذرِيًّا على الشّعَر الجَعْد ؟

أبيضاءُ أم صَهْباءُ ؟... دَعْكَ وضُمَّها...
كأَنْ قد أَضلَّتكَ الغِلالَةُ عن رُشْدِ...

تَمتَّعْ... صِبا حسناءَ ذاكَ أَم آنه
قصيدةُ مَن إن راح يَنْظِمُ لا يُردي ؟

به أَو ببعضٍ من سُلالةِ شِعرِهِ
زهونا زُهُوَّ البرْقِ أَو قصفةِ الرعدِ...

وربَّ كلامٍ رُخْتَ تَنسى رنينَه
ومِدْرارُهُ ما زاد عن حَبَّة الرَّند،

تكسَّرتِ الأَسيافُ دونَ جَلالِهِ
وقالت بلادٌ: حُجَّةٌ، إنه مجدي !

من وردتين اثنتين الشمسُ ...

سيفٌ على البُطْل أم شيماتُكَ الحُرُمُ ؟
ــ يا شِعرُ خلّدْ ــ وسيفٌ ذلكَ القَلَمُ!

فكيفَ مَرُّكَ بالجُلّى ؟ سألــتُكَ قُلْ
ما هابَكَ الموتُ ؟ ما انزاحَت لك الظُّلَم ؟

---

* في ذكرى شبلي الملاط.

ماضيكَ، غزَّارَةٌ كالصحــو، مُلْتَــفَتٌ
كأنَّمـا الصَّقْرُ في تَحديقِــهِ نَهَــمُ،

صَدَّقْتُهُمْ كُلَّ هذي صُوِّحَتْ، طُوِيَتْ،
صَدَّقْتُهُم فَتَّ في عَزْمِ الشَّبا الهَـرَم،

صَدَّقْتُهُــم عَلِمــوا بالعَبقــريِّ مضى،
لكنهـم بِشموخ الـرأْسِ ما عَلِمــوا.

*

بالأمس ديـوانُكَ استنجَدْتُــهُ عَبِقــاً
منــه الخَــزامُ، عَلِيَّــاتٍ به القِيَــمُ،

فَخِلْتُني فَلَكيــاً، مِثْـلُ البـراعَةِ لي،
حَولـي يَدورُ السُّهـى يَجثـو ويَسْتَلِـمُ،

أَبابِلٌ، قلتُ، زارَتْني وقـد حَمَــلَتْ
إِلَــيَّ أشيــاءَ أَم غنَّانِــيَ الهَــرَمُ؟

ولِعْبتُ، أولَعْتُتِي وَدَّتْ لو تكونُ أبا
روحُ الربيعِ، وودَّ الزَّهْرُ والأكَمُ!

*

ما لي أغنيكَ: «أهلي النُّورُ مَنْبتُهمْ،
عالُونَ كالأرْزِ، جارُ اللهِ، ما رُغِموا

ما نكَّسوا هامةً إلَّا لِخالِقِها
إلَّا لِلُبنانَ ما دانُوا وما احتكموا،

في إثْرِهِمْ أنا، دُنيايَ الجمالُ، وإنْ
باعدتُ فالسفحُ من لُبنانَ والقِمَمُ،

إلَّا إليكَ، إلهي، ما مدَدْتُ يدي
لجوعةٍ؟ من شَرَفي خُبْزٌ ومغتنَمُ

ويومَ مرَّ ببالٍ أن تكونَ لنا
يَراعةً بالهُدى والنُّبلِ تضطرِمُ،

على السنى وعلى شَكِّ القنا رَبِيَتْ
على الزئير ،أُوانَاتِ الحِمَى أَجَم،

ظَنَنْتُ شِعْرَكَ فخرَ الدين مُنتهِراً:
« جنودَ عنجرَ، هذا يومُها الهِمَم ! »

يَسْخَى فيَسْخَوْن، قُلْتَ السيفُ في يده
يسخى وتلتفِتُ القِيعان والرُّجُم،

حَرْمونُ في الأُفْقِ يَروي عَن بطولتهم،
صِنِّينُ يَغوى بِهم تِيهاً ويَنسجِم،

لله ما مادَ مِن بُرْجٍ، وزُلْزِلَ عن
سَرْجٍ، ومَن قَضَموا رُمْحاً ومَن قَحَموا،

هُمُ الأُولى أخذوا عن راسياتِهِمُ
أَنَّ القِلاع وأَنَّ الراسياتِ هُمُ !

حَتَّى إذا قال: « كُفُّوا، قد عفوتُ أنا،
بِحسبيَ النَّصرُ، ما لُبنانُ مُنْتقِم »،

تَلاحَظَتْ مِن أساها الخيلُ صاهِلَةً،
وفُتِّتَتْ كاظماتٍ غيظَها اللُّجُمُ،

لكنَّما عَبْسَةٌ من حاجبيه طَغَتْ،
فعادَتِ الخيلُ كالفُرسان تَبتسم !...

*

طَابَت قصائِدُ خِلْتُ الجيشَ مندفعاً
فيها، ومؤتلِقاً في أُفْقِهِ آلعَلَم !

شِعْرُ الرجولَة، شبلي، أنتَ نَبْعَتُهُ
بِكَ ارتوت أُمَّةٌ، مِنك انتَشَتْ أُمَمُ.

بَلى بَلى، لَكُما في الدَّهْرِ وَقْعُ خُطىً
على العُلى لُوِّنَتْ مِن شأْوِها الدِّيَمُ.

أَلْفاظُكَ الدُّهْمُ حُمْرٌ حينَ تَرْصُفُها،
لا حُمْرُهُ أُسْرِجَتْ أبهى ولا الدُّهُمُ.

أأنتَ أم هُوَ مَن خَلَّى الجَمالَ على
مفارِقِ المَجدِ، مُفْتَنًّا بما يَسِمِ؟

خَلَطْتُ بَينكُما حتّى لَأَسألُهُ
أَشاعِراً كانَ حِينَ الطَّعْنُ مُحتَدِم؟

تَوَقَّع السَّيفُ يوم اختالَ في يَدِهِ
ما سَوفَ تأْخُذُه عن حِبْرِكَ الحُمَمُ.

أَنتَ المُرَوِّعُها الأفْكارَ تأْسِرُها،
هو المُمَنِّعُها الهِمَّاتِ يَنْتَظِمُ.

هُنا امتشاقٌ لمعنىً رَنَّ بارِقُهُ،
هناكَ نَقْطٌ بِنَصْلٍ والحروفُ دِمُ.

تُغري ويُغْري فَلَفْظٌ منكَ هَزُّ قناً،
ومنه قَطْعٌ تَقولُ البيتُ يُخْتَتَم.

أرهفتُماها القَوافي حَدُّها لَهَبٌ،
أجريتُماها المَواضي سَيْلُها عَرِمٌ.

مَرَرْتُما فوقَ دُنيانا معاً ومعاً
لاعبتُما الموتَ حتَّى لَهْوَ مُنْهَزِم.

يا صِنوَه مَنبِتاً ذاك الذي نَحتوا
مِن اسمِه اسمَك، هَل أُنطَقْتُ مَن وجَموا ؟

تفي ولو أنتَ خَلْفَ القبر، هاكَ أنا،
في يومِ خُلْدِكَ، صوتي بَعْضُهُ الكرم.

مِن وردتين اثنتينِ الشَّمسُ أرفعُها،
فالكونُ شَخْطَةُ حِبْرٍ والمَدى كَلِم !

فِي البالِ خلفَ الحريرِ الزهْرِ خاطرةٌ
تململـــلت قُلْتَ حُسنٌ بالهـــوى بَرِمُ،

ـــ « حبيبيَ الحُلْوَ، نادت، والذِّراعُ على
جيدٍ، وُجُودٌ أنا أم وَهْمُ مَن وَهموا ؟

حَلَمْتَني ؟ أَكْمِلِ آنْخلُقْ، ليس أجملُ من
إطلالـةٍ راكـــعٍ في بابهـــا العَـــدَم.

مِن بَعدِ ما أَلتقي نَفسي يُخَيَّلُ لي
أنـي أَنـــا قُبلـــةٌ حَرَّى وأنتَ فَم ».

لا لم أُجِبْها، جمعتُ الدَّهرَ، مَن عشِقوا،
مَن أسكَروا الكأْسَ، مَن قالوا ومَن أَثِموا.

سَقيتُهـا لا دمُ العنقـــود أَطـــيبُ لا،
ولا الخلـــودُ ولا ما فتَّـــقَ القِـــدَم،

وما بقرطاجَةَ استَهدَوْا وما اعتَزَمَتْ
بِبعلبكَّ الطِّوالُ السِّتَّةُ العُظُم.

رَويتُها لي، لِبالي، لِلزهور، لَها،
كما رويتَ لِعودٍ أَنَّهُ نَغَم!

فَقَرَّبَتْ شَفَةً وَلْهى إلى شَفَةٍ،
وهَبَّ يَعْطِفُ قَدَّ الزنبقِ النَّسَمُ.

أَوَّاهِ مِن كَرمةٍ لَم يَصْحُ قاطفُها
إلاَّ ليشهَدَ هذا الكونَ يَنعدم!

ومَن رَقَى الموتَ؟ مَن قالَت أَصابعُهُ
سأَسْحَرُ السِّحْرَ حتَّى تُبْعَثَ الرِّمَم؟

أَمانَ عَينيكِ، بيتَ الشعر، أَنت لها،
يا أَنْجُمُ آرْقُصْنَ لي، غَنِّينَ يا سُدُم!

الشِّعر قَبْضٌ على الدُّنيا مُشعشِعَةً
كما وراءَ قميصٍ شَعْشَعَتْ نُجُمُ،

فَأَنْتَ والكَونُ تيَّاهانِ: كَأْسُ طِلاً
دُقَّتْ بكأسٍ وحُلْمٌ لَمَّهُ حُلُمُ.

*

عالٍ كما أَنتَ شبلي، ما رَشَقْتُ به
بابَ السماءِ وما بالغَيب يَصطدِمُ،

أَتي على المُغلَقِ المَرصودِ فانفتحت
كَفٌّ من الله ما الأَزهارُ؟ ما الحِكَمُ؟

شِعرٌ إلَيَّ يَشُدُّ المنتهى جَزِعاً
قَلْباً، ومِنهُ بقلب المُنتهى أَلَمُ.

سارَرْتُها الشمسَ، أَيُّ الخَمْر يُسكرُها
حتّى أُصُبَّ؟ فقالت: «يُسْكِرُ الشَّمَم!»

النهران

وُلِدتُ سريري ضِفَّةُ النهر، فالنهرُ
تآخى وعُمري مثلما الوردُ والشَّهرُ،

وكان أبي كالمَوج يَهْدُرُ، مرَّةً
يُدحرج من صَخرٍ وآناً هو الصخرُ!

* في الاحتفال بنيل شولوخوف جائزة نوبل.

وقد علَّماني الحَقَّ، ما الحَـقُّ ؟ دُفْعَـةٌ
كما السَّيلُ عنه انشَقَّ واخضوضَرَ القفر.

وعُمْــــرٌ شَرارٌ ليس يأْسُنُ ينتخـــــي
على الصعْب، فهو الشَّرْدُ والبردُ والحرّ،

وأَنك خَطٌّ كالشهامــــــة واقِــــفٌ
إذا انهار ظَهرُ الناسِ أنتَ لهم ظَهر.

ومـا قَلَـمٌ بالكَـــفِّ إن لم تَهِـــم به
مواضٍ وتَـحْسُدْهُ الرُّدينيَّـةُ السُّمْــــر !

تَوحَّـــد مَنْ مِن حَزِّهِ طاب حِبْــرُهُ،
ومَـن بتلقـي طَعْنِــه افْتُتِـــنَ الصَّدر،

أَنـا عنهمـــا ذَيِّيْـــنِكَ الشائِليــنِ بي
أَخذتُ ولم أُسكَرْ، وبي تَسكَرُ الخمر !...

كأنِّيَ بين الموج والمجدِ ساكنٌ،
وداريَ بنتُ الصُّبح ما شابَها عَصْرُ.

لَئِن تَحْكِ عن نَهْرٍ فشَطْرُ قصيدتي
يُطِلُّ، وهُزَّ السيف يكتمِلِ الشطر!...

*

تُحَبِّبُنِيهِ «الدونَ» كُلُّ ترابةٍ
سَقاها سَقى أُختاً لها القَلَمُ النضْرُ؟

كلامُكَ يُغريني، يُرنِّحُ خاطري،
يُذكِّرني بالأرض، أرضي اللَّها ثَغْرُ،

تُقَبِّلُ حتَّى لَهْيِ أُمٌّ... وطفلَةٌ
رِضىً... وعروسٌ فاحَ مِنْ رُدْنها العِطر!...

أُغنّي أنا لُبنانَ أجْمَلَ ما شَدا
كَنارِيُّ غُصن رَقَّ، لكنه نَسْر...

وأنْتَ تُغنِّـي رُقعـةً من جبالهـا
جبـالٌ، عليها مُتعَباً يَتَّكي الدَّهـر.

كِلانا شَغوفٌ بالضِّفاف وأهلِها
يُنَشِّئُهم نَبْعٌ يُخَلِّقُهم زهـر،

كَنَبعهمُ أعطَوْا جديداً وطَيَّبوا،
كزهرِهِمُ الدنيا، وكالزهرةِ افترُّوا...

تُغنِّي هدوءَ « الدون » ؟ عَفْوَكَ: أهلُهُ
إذا بَعثروا فَجْراً أَهَلَّ لهم فجر !

جَلَلْتُكما عنها فلا « الدونُ » هادئٌ
ولا أنت، إلاَّ أن يَلُفَّكما السِّرُّ.

أُسائِلُ: « هل حارت بغير نُهاكُما
عقولٌ، وهل جاهى بمثلِكما العَصْرُ ؟

وَنَهْرُ الرجـال المُنتهـي خَلْـف أَنجـمٍ
وأنت تَخُـطُّ النهـرَ، أَيُّكُمـا النَّهـر ؟ »

*

حَبيــتُكَ، يا غزَّارَةً ما تجاهَــــرَتْ،
ومَن قال: صوتُ الناي أَجمَلُهُ الجَهْر ؟

تَميـلُ على القِرطـاس تأْمُـرُهُ: آمتثـلْ
غَمامـاً، فيَسخـى ليسَ يَجْرحـه الأَمرُ،

إخـالُ الرِّقـاعَ الخُضْرَ بِتْـنَ حبائبـاً
إليكَ... فها عُنْقٌ يضِجُّ وها خَصْرُ !...

وأنت حَواليهـــن كَفٌّ عطيَّــــةٌ
كما الله إنْ قَطْراً أَرادَتْ هَمى القَطْر !

وإن أَنتَ قصَّفتَ الـــغُصونَ تلألأتْ
غصونٌ عليهـــنَّ الطيـــورُ لهـــا كَرُّ.

تُعاتِبُ أَنتَ الشَّيخَ والريح، باعــداً
عشيّاً، فتبكي الريحُ والشيخُ يصفرُّ !

أَلا أَين مِنْكَ الصاخبون ؟ هَزَزْتَهُم
بِقولٍ وبعضُ القول ناهِدَةٌ بِكر.

لِطَرفةِ جَفْنٍ مِن حَياها غَضيضةٍ
يَذِلُّ الذي في القَصْرِ أَو يَقَعُ القصر،

ولِلَّفْظةِ المكنونِ سِرُّ جمالِها
نَفاذٌ كهَدِّ المَوج جُنَّ به البحر.

*

تَقُصُّ ؟... ارتفق بالشِّعر، أَنت بدَعْتَهُ
كلامُكَ زَهْرُ الجَمْر لو يُزْهِرُ الجمر.

تَخُطُّ كما خَطَّ اللعوبون بالعُلى
على أَنمُلاتٍ منهُمُ اغترب الفِكر،

يَحُــرُّونَ كونــاً، يَنزِلــونَ بآخــرٍ
وكُلٌّ على كَفٍّ... فقلْ بعدُ ما السِّحْر !

*

إليكَ بنَفْــحِ الأَرز جَمًّــا بعثْتُــهُ،
وعُلِّــقَ عُودُ الله في الأَرز. فالنَّقْــرُ

وشيكٌ. كُنِ العــوَّادَ وآضرِبْ بريشةٍ
على مَوعدٍ مَعْ مثلِهـا العَمْـرُ والغَمْـر.

وأَنتَ من اللائــي يُحِبُّــونَ. إنهــم
على أَرضِكَ المِعطاءِ، أَفديهِـم، كُثْـر.

ومِن عِندِنا المَجْدُ الذي المَجْدُ بعضُهُ
إليـه رنـا مَن أُلْهِـمَ السِّفْـرَ، والسُّفْـرُ،

فَلَـمْ يُعْطَـهُ من سار بالشِّعر لاهثـاً
ولكنَّما مَـن جـاءَ يَقصِـدُهُ الشِّعـر.

اللون الآخر

بِبالي مررتَ اليومَ، فَلْيَشتعِلْ بالي،
كأنكَ قَصْفُ الرعد في الجبل العالي،

كأنكَ لونٌ في الطبيعـــةِ آخَـــرٌ،
أوِ اسْمٌ كطيرِ الرُّخِّ أو شجرِ الضّالِ.

* ليلة تذكر الرفاق عمر فاخوري.

لِخاطـــرةٍ أغريتَهـــا وحَبَستَهـــا
بلفظٍ، بكـى غيـرانَ لؤلـــؤُ لَآلِ .

إذا القـولُ ما شَدَّ الربيـعَ، ولا شدا
على كلِّ حرفٍ منه عُصفورُه الغالي،

ولَـم يَسترخْ فيـه الزمـانُ، وتشتـبكْ
نجومٌ بأزهارٍ، كما المِعصمُ الحالـي،

فلا كان !... إن القولَ ما آهَ من هوىً
وشعشعَ، قلتَ الأرضُ مُسَّتْ بزِلزالِ .

*

حَبِبتُكَ تُغنـي الـعَصر، تُطلِقُـهُ علـــى
الرِّيـاحِ، تُمَنِّيـــهِ بإكثــارِ إقـــلالِ،

تُلقِّنُـــه كيـــفَ افتتـــانُ أصابـــعٍ
بمجدٍ، وكيف المَجدُ تَحطيمُ أغلالِ.

فلا صَغُرَتْ أَرضٌ، ولا قَلَّ شعبُها،
ولكنهـا الدنيـا لِجَـوَّابِ آمـال !

لِمَـنْ بَرِمَتْ منـه يدانِ رماهمـا
بأَن تغذُوَا في السكب دفقَةَ شلاَّل !

فلا شيءَ ممـا طاب شيئـاً ولعبـةً
تشيـلُ الرُّبـى، إلاَّ تأَتِّـى لشيَّـالِ !

*

كفى أَن تُحِبَّ الحُسْنَ، مقلَعُكَ السَّنى،
تُقصِّبُ: بانـي الضوءِ بانٍ لِأَجيـال.

*

ومَنْ ماردُ البـاب الـذي قلتَـهُ ازدهـى
وطُيِّبَ مَرصوداً كما الماءُ في الآل ؟

يقولونَـه حُلمـاً يُخَـيِّبُ ؟ ويحهـم !
أَما واهمٌ بالحُبِّ أَشرَفُ مِن سالِ ؟

مُقَـامُكَ في أَرجائهـم كان هَتْفَـةً
بموتـي، وكـان المستجيـرَ بأَظـلال:

تَخالُهُـمُ دنيـاك، إذْ هُمْ بَريقُهـا...
وآلهـةً، إذْ همْ تماثيـلُ صَلْصال...

*

سيَبقـى لك النَّسجُ الـذي أَنت ربُّـه،
ولِلشمس نَسْجٌ كُلُّ ما دونَـهُ بالِ.

غُبـارٌ على الثَّوب الـذي أَنتَ خالـعٌ
لَمِنْـهُ عروشُ الأَرض تُشرى بمِثقـال.

وإن أَنتَ، يومَ الرَّصْد، ما كنتَ مارداً
وباباً، فمـا خَزْنٌ ومـا فَضُّ أَقفـال؟

*

سلامٌ على الغزَّارةِ احمَـرَّ وجهُهـا
ولكـنْ كمـا الـوردُ الوديـعُ بإدلال،

أَقولُ: آنزِلي، يا بعلبكُّ، آنزِلي معي
آلزمانَ خططناهُ كما الوردُ في البال !

ومنّا الذي تاقَتْ الى وجهه العُلى،
ومنّا العُلى فليمَّحِ الطلَلُ البالي.

*

مِن الغيبِ، فوقَ الغيبِ، وَقْعُ حوافرٍ
تطلَّعْ ! حِصانٌ راح يَغوى بخيّال !!

نَهرُ الذَهَب

حلمتُ وكان الضُّحى لم يُفِقْ
بأَنَّ وسادَكِ زندي القِلق،

وفوقَ محيَّايَ، شَعْرُك نهرٌ
من الذهب المُندري المندفق،

أَهِي مرَّةً، ومراراً أُضيع
كما وردةٌ في العبير العَبِق.

هُويناكَ، يا حلمُ، هذا المساءَ،
ستقسو، وبعدَ غد، ستَرِق...

أنا مَرَّ أُسبوعُ عمرٍ ولمّا
أُمُرَّ بدارتها أَسترق

إلى حُسنها، قَلْتَني بُلْبُلَ الأَيك
شَرَّدَهُ عندليبٌ نزق،

تَجيءُ الفَراشاتُ مُحلولياتٍ
الى حِيف شُبَّاكيَ المنغلق،

فأَغمزهن: أَمِنْها ارتزقْتُنَّ ؟
بَشَّرْنَني أَنني مُرتزق...

فراشاتُ، أَيٌّ تَمُرُّ بِشَعْرٍ
وليست تَودُّ به تحترق ؟

أنا ليتني كنتُ في السِّرب ! كنت
تأنَّيت عندَ البياض اليقق...

وما لامست أُنملي ذلكَ النحر،
كلّا ولا الناهِدَ المنطلق...

ولكنني كنت مُتُّ بعينين،
خَمْرُ السماءِ إذا يندلق...

كلامي على ربّ الكلام

كلامي على ربِّ الكلام هَوىً صَعْبُ،
تهيَّبتُ ! إلاَّ أنَّني السيفُ لم يَنبُ.

ورُبَّ جمـــالٍ رُحتَ تَرسُمُ طيفَـــه
تصبَّاكَ كالسيفِ استجاب له الضَّرب،

---

* في احتفال بعلبك بعاشوراء.

وما لُغةُ الأَقلام من لُغـةِ القنـا ؟
اثنتان؟ سأَلتُ الحُسْنَ: ما الجَفْنُ؟ ما الهُدْبُ؟

لَيَطـــرَبُ لا إلاَّ لغـــزَّارةٍ جرت
كما الفَرَسُ الدَّهماءُ طَيَّبها النهب،

إذا صَهلت غِبَّ التَّلاحُـم ردَّها
أَخو مِرَّةٍ في الـدَّوِّ من وقْعِه رُعْب،

يَذود عن الذِّمَّـات ليس يُبيحهـا،
بِه الشرْقُ مَدَّ الصوتَ فالتفت الغَرب.

*

حببتُ عليًّا مُذ حببتُ شمائلي،
لَهُ اللُّغتانِ: القولُ يَشمَخُ والعَضْب،

بِهـذاك يُعليهـا، بهـذا يَزيدُهـا
أَيكبو ؟ ولكنَّ الأَصائلَ لا تكبو !

لَأشرفُ مَن قاسى، وأَسمَحُ من سَخى،
تقول على رَملِ البوادي له حَذْب.

بَلاغتُـــه الليـــلاءُ أُسُّ أريكـــةٍ
فكيفَ بما أَبلى الذي وثبُـهُ الوثب ؟

*

وهَل، يا تُرى، هل قادِرٌ خَنْجَرٌ على
حبيبِ فِرِنْدٍ ؟ بَكِّني وابكِ، يا حُبّ !

تَخيَّلتُهم، أهـلَ النهـى من أُمَيَّـةٍ،
ومَن إنْ عدوٌّ ضِيم واستُصرخوا هَبُّوا،

رَمَوا عند سَمع النعْي شَهْمَ سلاحهم
وقالوا: « لِهذا الشَّهْب نُكِّست الشُّهْب! »

*

تَخيلتُهم يومَ الغديـر وقـد سمـا
سماوِيُّهم: « بَلِّغْ ! »، فمُزِّقتِ الحُجْب،

فقال: « أَلا مَن كنتُ مَولاه فَلْيَكُنْ... »
وأَكملها. يا طيبَ ما اكتمل الدَّرْب !

وكـانت إماماتٌ وكـــانت مَطـــارحٌ،
مَحَـطٌّ نُزولِ الله أَو يَقْـرُبُ القُـرْب،

ففـي كُلِّ أَرضٍ بعدُ بيتٌ مطـيَّـبٌ
على اسمِ الأُولى في الكُتْب ليس لَهُم شَطْب

ومَـن لا يُحِبُّ البـيتَ، سيـفُ عليِّـه
جميـلٌ، وذاكَ النَّهْــجُ كوثَـــرُهُ عَذْبُ ؟

كلامٌ كمـا الأَربـــابُ في طَيلسانهـــا،
أَلا فَلْتَداوَلْــهُ وتَرتـــعشِ الكُــتْبُ !

سائِليني

سائِليني حين عطَّرتُ السَّلامْ:
كيف غارَ الوردُ واعتَلَّ الخَزامْ،

وأنا لو رُحتُ أسترضي الشذا
لانثنى لُبنانُ عِطراً، يا شآم!

ضِفَّتاكِ ارتاحتا في خاطِري،
واحتمى طيرُكِ في الظَّنِّ وحام.

نَقْلَـــةٌ في الزَّهـــر أَم عَنْدَلَـــةٌ
أنتِ في الصَّحْوِ وتصفيـقُ يمـــام؟

أنـــا إن أودعْتُ شِعـــري سكــــرةً
كنتِ أنتِ السكبَ أو كنتِ المُدام.

*

رُدَّ لي من صَبوتـــــــي، يا بَرَدى،
ذكريــــاتٍ زُرنَ في لَيَّـــــا قَوام،

ليلـــةَ ارتـــاح لنــــا الحَــــوْرُ فلا
غُصُنٌ إلاَّ شَجٍ أَو مُستهـــــــــام،

وتَهــــــاوى الضوءُ إلاَّ نَجمــــــةً
سَهِـــرَت تُطفِـــي أُوامــــاً بِأُوام،

سألتنـــــي مِن دلالٍ قُبلـــــــةً
يُعصَرُ الدَّهـــرُ بِهـــا كأْسَ غَرام،

وارتَمت يَكْسِرُ مِن هُدْبٍ لها
مُسهَبِ الطُّولِ حياءٌ واحتشام،

وَجعَت صَفصافةٌ مِن حُسنها
وعرى أغصانَها الخُضْرَ سَقام،

فحَسَرتُ الشَّعر عَن جَبهتها
أسألُ الحُسْنَ أفي الأرض أقام ؟

وتَأنَّيتُ أُمَلِّي خاطري
قَبل أن يحجُبَها ضَمٌّ الهُيام،

أو لِخَوفٍ بي على ثانيَةٍ
سَوف تمضي فمُنى العُمر حُطام،

لم تَدَعْ لي شقوةً أحيا بها
ورَنَت يَملأُ عينيها ابتسام،

أومأتْ لي... فامَّحى كُلُّ سنىً
مرهِقٍ، غيرَ فمٍ عذبِ المَلام،

وإذا قُبْلتُنا فرٌّ إلى
عالَمٍ أبهى وسُكْنى في مَنام.

تَقِفُ النَّجمةُ عن دورتها
عند ثغرَينِ ويَنهارُ الظلام.

*

طَوِّفي بي، ذِكرياتي، طَلْقَةً
واغنمي أطيابَ ذيّاكَ الوِئام،

وآمْرَحي بينَ دمشقٍ وحِمى
تلكُمُ الصفحةِ مِن رِفعةِ هام،

خَطَّها صِيدٌ أُباةٌ غَضَبوا
حَقَّهم، والحَقُّ غَصْبٌ أو حِمام،

غالَبوا السَّيفَ عريقاً حَدُّهُ
فانثنى السيفُ وفي الحَدِّ احترام.

هذه «الغوطَةُ» أوفى تُربةً
بهمُ أَم جبل «النَّبْكِ» القُدام؟

كَم فتىً بات فراشاً سرجُهُ
نامَ والكَفُّ على سَيرِ اللِّجام!

وفتاةٍ خَلعتْ أُسوارَها
تَشتري حَلْياً لها غَيرَ كَهام[1]!

وشجاعٍ لم يَسَعْه عُمرُهُ
راحَ يحيا سَعَةَ الموتِ الزُّؤام!

---

١) من كَهَمَ السيفُ أي كَلَّ.

أُسْدَ الثَّــــورة ! وُسُّدتُـــــم ثرىً
هو مِن مَشرِقِنــا الأَرضُ الحَـــرام،

طَيِّبَتـــــه من جَنــــوبٍ نَفحــــةٌ
عَبــقَتْ مِن ضارِبٍ في الأُفْق، سام،

جَبَــــلٌ[1] يجمـــــع في أَصلابــــه
دَعــةَ السَّفــح الــى عِزِّ السَّنـــام،

التُّرابـــاتُ به أَهْـــــلُ وفـــــاً
ومِـــحَكٌّ يَزِنُ الحُـــرَّ الهُمـــام،

ولــــه أَهلـــونَ إن يَنْتَسبــــــوا
يَشمَـــخِ الرُّمْــحُ ويَعْتَــزَّ الــحُسام.

---

١) جبل الدروز.

قُلْ لِذاكَ اللَّيثِ[1] في آجامِهِ:
واحِدٌ نحنُ إذا الشامُ تُضام،

سائِلِ الأَبطالَ: هل تُنسى لنا
رِفْقَةُ الأَخذ بأَغراضٍ جِسام؟

ولَظى الحِرمانِ مِن أَهلٍ ومِن
غَفوةٍ قَمراءَ في تلكَ الخيام؟

والْتقاءُ الموتِ ضَنًّا بِعلًى
وأَحايينَ اشتياقاً لاقتحام؟

حُرُماتٌ بيننا أَنقى سنًى
من ذُرى الحَرْمونِ أَو طُهْرِ الغَمام،

---

١) سلطان الأطرش، قائد ثورة ١٩٢٥.

قد سَقينا بالدم المَجْدَ معاً
ومعاً خضنا المجالاتِ الكِرام،

وعَهِدْتُ السيفَ في سلطانه
ناصِعَ الإفرندِ لم يَذْمُمْهُ ذام،

شيمةَ الليث انثنى مُدَّخِراً
صولةَ الضاري ليومٍ ذي جَهام.

*

يا سفينَ المجدِ، ردّي ما انطوى
واقحمي الأمواجَ حين البحرُ طام.

يُسْلِسُ الدَّهرُ قِياداً للذي
يتحدَّاه سهاماً بسهام.

جَدِّدي ما وسِعَ الهَدْمُ فما
بسوى الهَدْم لِبانينَ اعتصام،

وأْلَفـي المَـرَّ بسطحـيٍّ المُنـى
ليس يُرضي النَّسْرَ ما يُرضي الهَوام،

العبودِيّاتُ مثْنى عندنـا:
في الحِمَى غازٍ وفي العقل قَتام،

تِلْكُمُ دالَت وهـذي لم تَزَلْ
سُوسَةً تَبْري فَتَفْتَتُّ العِظام.

آهِ! مَن لي بغد أدنى الى
سَلسَلِ الحُلْمِ وأُبهى من مرام؟

تطأُ الشامُ به مُختالَةً
ساحةَ المجهول أو شأْوَ الأمام،

الحضاراتُ هُنا منبِتُها
شُدَّتِ الدُّنيا الى هٰذي الأكام.

*

ظَمِــئَ الشرقُ، فيــا شامُ اسكُبــي
واملأي الكـأْسَ له حتى الجَمــام !

أهــلُكِ التاريــخُ من فَضْلتهــم،
ذكْرُهُــم في عُرْوةِ الدَّهــرِ وِسام.

أُمويُّــون فإن ضِقْتِ بِهِــم
أَلحَقُــوا الدُّنيــا ببستــان هشام.

أيُّ رأْيٍ[1] أنتِ ما نشَّأْتِــه
توأَمَ السَّيْــفِ لِفَصْلٍ واحتكــام !

خلبَ الدُّنيا بمــا افتَــنَّ، اهتِفــي:
كبُــرَ المرمــيُّ يومَ الحــقُّ رام.

*

---

1) فارس الخوري.

تَمتــم المَجــدُ وناغــى حُلمَــهُ
فوق كفَّــيكِ إذِ المجــدُ غُلام،

وهـو حُلْــمٌ لو درَوا أَيــن انتهــى
لأتتكِ الأَرض حجًّــا لمقــام.

يا طريقــاً من دمشقٍ لم يزلْ
لفتــةَ الدنيــا وإجــلالَ العِظــام،

بَيْــن تَخْمَــيكَ تَجلَّــى للنُّهــى
مَطْلِــعُ الحــقِّ وتعليــمُ السلام،

فإذا جُدِّلَ عن مُهرتِــه
شاولٌ وانــكبَّ في ذاكَ الرَّغــام،

رُحْتَ تَلقــى مَصرَعَ العقــل اذا
كانَ للعقــل معَ الحَــقِّ اصطــدام

*

شامُ، يا دارةَ نيسانَ، سَقَت
مرجَلكِ الخيراتُ في الغيثِ السِّجام !

عِشتُ يَغنى بِكِ شوقي كلما
زُرتُ، والزَّورةُ شوقٌ مستدام،

فكأني شارِبٌ ليس يعي
خوْفَةَ القائلِ: خُذْ آخرَ جام !

وتؤاسيني، إذا حَمَّلتِها
منكِ شيئاً، مَشرِقيَّاتُ النِّسام.

لكِ قال الحُسْنُ مذ هِمتِ به،
ذات صبحٍ، ونَضا عنه اللِّثام:

من أنا ؟ أُغنيَّةٌ لم تكتمِلْ،
رُصِدت... الا اذا كنتِ الخِتام،

وأقاحِـــيُّ نَمَت في « دُمَّـــــرٍ »
أوَّلَ الدْهــر ومــاتت في الفِطــام،

فإذا عادَت حيـــــاةً طَفِـــــقَت،
من حَنيــنٍ، تَجِــدُ الدُّنيـــا شآم.

*

أنــا لستُ الغَـــرِدَ الفَـــرْدَ، إذا
قال طابَ الجَرْحُ في شجو الحمـام.

أنــا حَسبــي أننـــي مِن جَبَـــلٍ
هو بيـــــــن اللهِ والأرضِ كلام.

قِمَـــــمٌ كالشمس في قِسْمَتِهـــــا
تَلِـــدُ النُّـــور وتُعْطيــــهِ الأنام.



غنّيتُ مكّةَ أهلَها الصيِّــــدا،
والعيـدُ يمـلأُ أضلعي عيــــدا.

فَرِحوا، فلألأَ، تحت كلِّ سَماً،
بيتٌ على بيتِ الهُدى زيدا.

وعلى آسم ربِّ العالَميـنَ علا
بُنيانُهــــم كالشُّهبِ ممــــدوداً.

يا قارئَ القُرْآنِ صلِّ لهم،
أهلي، هناكَ، وطيِّبِ البيدا.

*

مَن راكعٌ ويداهُ آنستا
أنْ ليس يبقى البابُ مرصوداً.

أنا أينَما صلَّى الأَنامُ رأَتْ
عيني السَّماءَ تفتَّحتْ جُودا.

لو رملةٌ هتفتْ بمبدِعِها
شَجْواً لكنتُ لشجوِها عُودا.

ضجَّ الحجيجُ هناكَ فاشتبِكي
بِفمي هُنا يا وُرْقُ تغريدا.

وأَعِزَّ، ربِّي، الناسَ كلَّهُمُ
بِيضاً فلا فرَّقْتَ أو سودا:

لا قفــــرةٌ إلا وتُخصِبُهـــــــا،
إلاَّ ويُعطى العِطرَ، لا عودا.

الأَرضُ، ربِّـي، وردةٌ وُعِـــدتْ
بكَ أَنتَ تقطِفُ، فاروِ موعودا.

وجمالُ وجهِكَ لا يزالُ رَجاً
يُرجى، وكُـــلُّ سِواهُ مردوداً.



نَسَمَتْ من صَوب سوريَّا الجَنوبُ،
قلتُ: هلَّ المشتهى، وافى الحبيبُ،

أشقرٌ، أجملُ ما شعَّت الشمسُ
أَو طيَّرتِ الريحُ اللَّعوب،

شَعَرٌ أُغنيَّةٌ قلبي لَهُ،
وجبينٌ كالسَّنى عالٍ رحيب.

أنــا إن ساءَلتُ: أيٌّ مضَّنــي ؟
قالَتِ القامَةُ: حُبِّيك عجـيب !

مثلَما السهلُ حبيبي ينـدري...
مثلَمـا القِمَّـةُ يعلـو ويغيب...

وبـــــه مِن بَرَدى تَدفاقُـــــهُ،
ومِن الحَرْمونِ إشراقٌ وطيب.

ويحَـــهُ ذاتَ تلاقينـــا علـــى
سُنْدُسِ الغوطةِ والدنيا غُروب،

قال لي أشيـــاءَ لا أعرِفُهـــا
كالعصافيرِ تُنائي وتَــــؤوب،

هو سَمّانـــي أنـــا أُغنيَّـــةً
ليتَ يدري أنَّه العودُ الطَّروب.

من بلادٍ سكــرةٍ قال، لهـــا
تُرْبَـةٌ نايٌ ونَهْـــرٌ عندلـــيب.

ويطيب الحُبُّ في تلك الرُّبى
مثلما السيفُ إذا مُسَّتْ يطيب.

شامُ يا ذا السيفُ

شامُ، يا ذا السيفُ لم يَغِبِ،
يا كلامَ المجدِ في الكُتُبِ!

قبلَكِ التاريخُ في ظُلْمةٍ،
بعدكِ استولى على الشُّهُبِ.

سَكرةٌ يومُكِ، ما الكأسُ
بالكأْس دُقَّتْ؟ ما ابنةُ العِنبِ؟

لي ربيـــعٌ فيكِ خبَّأْتُـــه
ملءَ دنيـا قلبـيَ التَّـعِب،

يومَ عيناهـا بساطُ السمـا،
والرماحُ السُّودُ في الهُـدُب،

تَلْتوي خصراً فأُومـي الـى
نغمـةِ النـاي: ألا انتحِبـي !

أنـا في ظلِّكَ، يا هُدْبَهـا،
أحسبُ الأنجُـمَ في لُعَبـي.

*

طابتِ الذكرى، فمَن راجـعٌ
بي كما العودُ الى الطَّرَبِ ؟

شامُ، أهلـوكِ إذا هُمْ علـى
نُوَبٍ قلبـي علـى نُوَب،

أنــا أَحبابــيَ شِعــري لَهُــمْ
مثلمـا سيفـيِ وسيــفُ أبــي.

*

أنـا صوتــــي منكَ، يا بردى،
مثلمـــا نبــعُكَ مِن سُحُبــي.

ثَلْـجُ حَرْمــونَ غذانــا معــاً،
شامخـاً كالعِــزِّ في القُــبب.

وحّــدَ الدنيــا غداً جبــــلٌ
لاعبٌ بالريـــحِ والحِـــقب!

مُرَّ بي

مُرَّ بي، يا واعِداً وعَداً،
مثلما النسمةُ من بَردى،

تحمِلُ العمرَ، تُبدِّدُه،
آهِ ما أطيبَهُ بَدَدا!

رُبَّ أرضٍ من شذاً وندًى
وجِراحاتٍ بقلب عِدى

سكتتْ يوماً، فهل سكتت ؟
أجملُ التاريـــخِ كان غَدا !

واعِدي، لا كنتَ من غضبٍ،
أعرِفُ الحبَّ سنىً وهُدى،

الهـــوى لَحْـــظُ شآميــــةٍ
رقَّ حتـــى قلتَـــه نفـــدا،

هكـذا السيـفُ ! ألا انغمـدت
ضربةٌ والسيـفُ ما انغمـــدا.

واعِـــدي، الشمسُ لنـــا كُرَةٌ،
إنْ يدٌ تتـــعبْ فنـــادِ يدا...

أنـا حُبِّـــي دمعـــةٌ هجَـــرتْ
إنْ تَعُـدْ لي أشعلتْ بَردى...

مَن شاعِرٌ

لا مُذْ بكيتُكَ، لكِنْ قبلُ مُذ سكَتَتْ
يراعـةٌ لك، قَلَّ الهَـمُّ في الــغُصُنِ،

غَصصتُ بالدَّمـع، هَل فرَّت بلابلُنـــا
طُرًّا، فما مِن شجِيٍّ بعدُ أو لَسِنِ ؟

• في ذكرى الاخطل الصغير.

أَنا الذي قال: يا شِعرُ، ابكِهِ وأَجِدْ
من قبلِ ما كان لا، يا شِعْرُ، لم تَكُنِ !

*

مِنَ الينابيعِ، من عينَيَّ صوتُكَ، مِن
ضَوْعِ البنفسج أُضلاعٌ له وحِني،

سِرُّ الرَّنين، وهل إلاَّكَ يَفضَحُهُ ؟
يا ناقِرَ العود مِنه العودُ في شَجَنِ !

والكونُ قُلْهُ رنينَ الشّعر، قُلْهُ صدىً
لِكَفِّ رَبِّكَ إذ طنَّت على الزمنِ.

ما العمرُ ؟ ما نحنُ ؟ ما هذي التي كتبتْ
قوسَ الغمام وغُنْجَ الزنبَقِ الغَرِن ؟

تَشظِّياتُ نجومٍ عن يدٍ فَجَرَتْ
حُبَيبةَ الشيء، وجهُ الله مِنه دُني.

فنحـنُ هٰذون، لمَّـا نبْـقَ في سَفَـــرٍ،
علـى الرَّنيـن، نجومـاً رُحَّـلَ السُّفُـنِ.

*

حَبَبْتُ فيك البليـلَ الـبَـثِّ لا يَبِساً،
لليل غنَّى وغَنَّوْا للضُّحـى الـخَشِنِ...

مَنْ لا يَضِجَّ، ويُبـــق الآهَ سيّـــدةً
على الكلام، يُؤاخِ الطَّيرَ في الفَنَنِ،

نَسْجُ التنَهُّـــدِ، لكـــن لا يُهَلْهِلُـــهُ
سَهْلٌ، ففي خيطِهِ من شَمْخَةِ القُنَنِ،

ضَوءٌ خُصصتُ به، بَعْضُ الذي احتَفظت
ببعضِهِ الشمسُ إذ هَلَّت علـى عَدَنِ.

*

قرأْتُ شِعْرَكَ، ما أُمّي تهدهدُنـــي؟
تَحكي حكايةَ بِنتِ الريح والفَطِنِ...

أُحبَّهــا لم تَزل في قلبــه خَبَــراً
ولم يَحِنْ آنُ عينيها... ولم تَحِنِ...

شقـراءُ شقـراءُ قلتَ الصخْـرُ مسكِنُهـا
قد حَدَّثَتْـهُ بهـا عصفـورةُ الـــوَسَنِ،

فهَبَّ، إغفــاءَةُ العينيــن تُسكـــرُه،
يقول: لا تَقْوَ، يا حُلْمي، ولا تَهِنِ،

إبْقَ الـذي أَنتَ! لا أَبهـى لِمبتهـجٍ
من السعـادةِ لم تَخشَنْ ولـم تَلِــنِ.

وقـال: هَل هيَ ما قالت مُحدِّثتــي،
ومـا تمايَــلَ بيــن السِّرِّ والعلــنِ؟

خطـوطُ قامتهـا في الكُتْبِ ما قُرِئَتْ
لكنهـا اشتَعــلَتْ في بالِ مُفتَتِــنِ.

في ظِلِّ مجدولتَيها العمرُ... في فَمِها
شَطرانِ للقَمر العالي على الدُّجَنِ.

سَجينَةُ الصخرِ، هل إلا غلائلُها
سِجْنُ الجمال؟... ألا، يا ريشتي، انسَجِني،

لعلَّ أن تُلهميني كيفَ أبلُغُها،
وكيف أخطَفُها من قَبْضَةِ الحُسْنِ،

أشُجُّ صَخْراً، أُري الازميلَ ما لُعَبي،
أُعيي الصُعوباتِ، أُغري عُقدَة السُّنَنِ،

حتَّى إذا التمعت غُرّاً ملامحُها
هَتَفْتُ أجزَعُ: لا حُطِّمْتِ، يا وثني...

ما أفتنَ الأخذَ من شَدْقِ الرَّدى، ويدٌ
تَهُمُّ بالخَلْق، تَرمي الروحَ في البَدَنِ!

ولا علَيَّ أقولُ... آشتَدَّ يا ظُفُري
حَطِّمْ ونُخطَّ الغِوَى، صُنْها ولا تَصُنِ...

غامرتَ ؟ أكمِل. لك الكاساتُ، أطيبُها
ما قيل سُمًّا ولم تَحْفِلْ ولم تَزِنِ.

وكـان أن نالهـا ذيّـالِكَ الفَطِـنُ
الكسَّارُ للجَلْمَدِ، اللَّعَّابُ بالسُّنَنِ !...

عروسُهُ هي وافَتْ أم قصيدتُـهُ ؟
فدَيتُ أُمِّي نَضَت سِتراً ولم تُبِنِ !

*

مَن شاعِرٌ ؟ مَن تَظَلُّ الريحُ دارَتَهُ
ترمي بأبراجِها في الأُفْق لم تُشَنِ،

حجارُها شَرَفٌ ! فاسمَعْ تنفُّسَها
بالنُبل، قلتَ: بِه قَبْلَ الجَمال غُني.

أكيدةً مِن هنا، مِن مقلَعٍ وقَعَتْ
عليه ريَّا غصونِ الأَرزة اللُّدُنِ.

أللهُ نحن! أما نحيا لأُغنيةٍ،
نَشوى بها لفتَةُ العُقبانِ في الوُكُنِ؟

إن شدَّنا البحرُ لا ملآنَ بعدُ بنا
نُفرِغْهُ منه أنِ آسكُنْ أو بنا آنسَكِنِ!

جِبالُنا هي نحن: الريحُ تضرِبها
نَقوى، وما يُعْطِ قصفُ الرعدِ نَخْتَزنِ،

عِشنا هنا لا نُهَمُّ، الفَقْرُ مرَّ بنا
ومرَّ مَنْ شِبْرُ أرضٍ غَرَّهُ ففَني...

لِلفقر قلنا: استرحْ، للمستبدِّ: أشِحْ،
غداً على الرمل لا يَبقى سِوى الدِّمَنِ،

ويأْخُذُ الرفشُ في جَمْعٍ... هنا خُوَذٌ...
هنا أساميٌّ... فادْفِنْ، رفُشُ، واندفِنِ...

*

غَنِّيـن غنِّيـن، يا كاسات، قُلْـــنَ له:
ماتت لنا الخَمرُ والعنقـودُ في حَزَنِ.

الـحُبُّ خَمَّش خدًّا واشتكـى وبكـى،
واستـوحَشَ القَمَـرُ الرانـي فلـم يَرِنِ.

تَمُـــــرُّ بالأُذُنِ الآهاتُ تسألُهـــــا:
أنحـنُ، من بعـــدِه، الآهاتُ للأُذُنِ ؟

غنّينَ غنّينَ... قُلْنَ: المجـدُ في يُتُـم،
شِعْـرٌ بلا المجـدِ رايـاتٌ بلا وطـنِ.

من لِلعُلى ؟ لِلصدارات العُلى ؟... أبداً
تبقى الكرامةُ بين الناسِ في غَبَـنِ ؟

غنِّينَ غنِّين... صَوتي ضاع... باتَ صدىً...
كالحِصْنِ دُكَّ وظلَّت هيبةُ الحُصُنِ !

*

إنـي لأُجرَحُ، يا كاساتُ، يا دِيَمـي،
أن يَشمَتَ الموتُ بالباقين كالزَّيَـنِ !

حقـاً سيغـدو كذُملــوجٍ بمِعصمهــا
حسناءُ لولاه لم تُشْرِق ولـم تَكِن[1] ؟

عَتبتُ ، ربِّي، عليكَ !... الشِّعرُ سَيِّدُهُ
مات ! آأمـرِ المـوتَ لا يَقْهَـرْ ولا يجن[2] !

أأبـسى عليــه أنــا تُبلــي أصابِعُــهُ
مَن عن أصابعه السِّحْرُ انجنى فجُني.

---

١) يضرب.

غنِّيـنَ غنِّيـن... يا كاساتُ، يذبحُكُـنَّ
الشوقُ... غنِّين... إن الشَّوْقَ منه ضُنِي!

أَلُـــوذُ بالقبـــر ما أَدري أَأَعْرِفُـــه ؟
أَما محَتْ نَقْشتَيْـهِ دَمْعَـةُ المُـــزُنِ ؟

أَثُورُ ! آخُـذُ بالصُّلبـانِ من غضبٍ،
أَردُّهـــنَّ وأَغــوى أَسْيُفـاً وقُنـــي...

يَمُرُّ في خاطري رَهْطُ الرجـال مَضَوْا
ومـا مَضوا تُرَّكـاً لي إرثَ مُؤتمِـنِ،

لِهْهُنـالكَ هُمْ سَيْـفٌ، أنـا لِهُنـا !
أَفي بِمجـدٍ وبـي صَرْحُ الوفـاءِ بُنـي.

« رُدِّي جمالَكِ »، يا دنيا، أَقـولُ مع
الأَبطال[1] ، « غُرِّي سوايَ » اليومَ وآدَّهني!...

---

١) الكلام للامام علي.

هم يَذْنَقُــون، وهَمِّــي النَّــارُ أُشعِلُهــا
مِنْ كِسْرِ عَظمي وإن يَنْفَدْ فمِنْ كَفَني...

ما المالُ ؟... قولـةُ « لا »... والله أَلْبَسُهُ
به غَنِــيتُ وغيــري بِالتُّــرابِ غَنــي.



قرأْتَ كتابَ الكـون سطـراً محـا سطـرا،
مُعَلِّمُ، عُدْ فاكتُبْــهُ أجمــلَ ما يُقــرا !

أَصابعُكَ استـولت علـى العقـلِ فازدهـى
تُبــاشِرُهُ نَثْــراً فتتركُــــه شِعــرا...

وتلتَـفِتُ الدنيــا وقــد عُلِّــقت علـــى
فمٍ لكَ قال السِّحـرَ أَو أَبطَـل السِّحـــرا

لَأَنتَ بِبالِ اللهِ كنتَ، بُعيدَما
رمى الأَرضَ عن كفٍّ وقال: اشتهي أَمرا !

فحارَتْ: كأَنَّ الليلَ ليسَ يلُفُّها،
ولا يتغاوى الجهْلُ يَرمقها شزْرا،

فقال: آنطِقي، إِمَّا تَلعثمتِ أُقلقت
ببالي أَفازيرٌ وأَعمِدَةٌ سكرى،

مِنَ الطُّرَفِ اللائي سأُخْلُقُ، يومتا
سأَرتاح، والأَفكار تَغمُرني تَتْرى...

أَمرْتُكِ فُكّي عُقدةَ الصمت وابسِمي
لِوجهي، لَقَفْرٌ أَنتِ مُبتلِعٌ قفرا !...

على أَنها الأَرضُ استمرَّتْ عيِيَّةً،
فَمَدَّ إِليها الخَمْسَ يرسُمُها ثَغْرا،

ورأساً، وبعضاً من خَيــال أميــرةٍ،
لها يومَ عدِّ الحُسن يُؤبه أو يُدرى،

فما هِيَ أنْ ضاءَت وغنَّى جمالُهــا
لها وروى، حتَّى أفاقَتْ كَمِنْ ذِكرى،

وشالت برأسٍ صوب عينيــه قُلتَهــا
كما ستكون الكأْسُ إذ تمتلي خمرا،

ولامس أُذنَ الله هاتِــفُ قلْبهــــا:
ــ بلى، ربِّ، هاني أَشتهي القَلَمَ الحرّا،

أَلا اخلُقْه، لا كالناس، هُمْ تُربَةٌ رِضىً
تفي، وهو غرَّاسٌ كما يَدُكَ الخَضرا،

عَلِيٌّ جبينٍ، حازِمُ اللمح، أَبلَــجٌ،
يَمُـــــرُّ به نَسْرٌ فَيَعْرِفُــــهُ نَسرا.

تصوَّرتُهُ والرَّوضَ. ما بيــنَ زَهــرِهِ
وضِحْكَةِ عينٍ؟ إنَّه الأَمَلُ افترَّا...

تصوَّرتُه والريحَ. ما بيــن عَصفهـا
وقَطْعٍ بمعنىً؟ إنه سَلْكُكَ الدُّرَّا...

تصوَّرته والشمسَ. ما بيــن بَزْغِهـا
وهَشَّةِ وجهٍ؟ إنهـا الصِّلَةُ الكُبرى.

*

مُعَلِّــمُ، لُمَّ الزقزقــاتِ وحُطَّهــا
على فمِ طفلٍ شِئتَهُ النَّقْلَ والكَرَّا.

بِملْءِ جَناحٍ لم يَطِرْ، إنمــا رنــا
إليكَ، فأعدَدْتَ انطلاقتَــهُ الحَــرَّى،

وشِئتَ له أَنْ يَستعيــرَ شموخَــه
من الأَرز غَنَّــاهُ الزمــانُ إذا مَرَّا،

وشِئتَ لَه أُن يَجْبَهَ السيفَ بالُهُ
فيدركَ أَن البالَ يَفري ولا يُفرى.

*

مَن العلّمونا؟ مَن يكونون عزمةً
وقرعاً لبابِ المستحيل خَفى السِّرّا؟

رياحٌ! بلى، هم كالرياح مهابةً،
على أُوجُه الأُخّاذ قد حُفِروا حفرا،

وتُعطيك عينٌ منهُمُ قلتَها يداً،
وتُعطيك تُعطي بسمةٌ ما التَوتْ صَفْرا،

بِها مِن محيَّا الوالِد الصَّعْبِ لَهْفَةٌ
تُهيبُ أَن ِ آقطِفْني ولا قطفَكَ الزَّهْرا!

ويُعطيك نُطْقٌ حامِلُ العِلْم ما انتهى،
ومُبتدِعُ الأَفكار فجَّرها غَمْرا...

وتعطيك، إن تُشْلَحْ على اللوحِ، أنملٌ
وتَكتبُ ما الدُّنيا... وتكتُبُ ما الأخرى...

خواطرُ قُلْهُـــنَّ الـــخصورَ تمايَـــلَتْ،
وقُلْهُـنَّ صار الـحُسنُ مُنْحَـبِساً قسرا.

*

سألتُ الأُولى خَلف القُرى، فَوقُ، علَّموا
تقيهـم نَداهـا، السنديانـــةُ، والحَـــرّا:

تُرى ثانويـــونَ الذيـــن احتضنتُـــمُ ؟
تعالَوا نَقُصَّ المجدَ، نستلفتِ الدهرا !

أَفِقْ من كَرىً، زينونَ صيدا، قُلِ اسمَه
مُتَلْمَذَكَ المُضْفـي علـى رومـةٍ قَدْرا !

هُمُ شيشرونٌ، عندهـم، ربُّ قولِهـــم
وعندك، طفلٌ يحفَـظُ اللفظـةَ البِكْـرا.

أَفِقْ من كرىً، لِيبانيوسُ، ارمِهِم به
فمــاً ذهبيًّــا أنتَ نشْأتــهُ صَقْــرا،

فبــــات إذا ما وَزَّعَ اللهُ طاولتْ
تجوعُ إلى فيهِ العصافيرُ أو تعرى...

أَفِقْ من كرىً، مكسيمَ صورٍ، ورُدَّنا
إلى مركُريلِ السيفِ فتَّته فِكــرا،

فلم تبقَ أرضٌ لم تَهِمْ بخواطــرٍ
له، قلتَها الإنجيلَ أو شِعرَه نثرا...

أفِقْ وآغوَ منها، أنطباطِــرُ، هَتفــةً
لكاتونَ طارت فهي هتفتُنا الحَمرا:

«لأمَّا تَمُتْ حُرِّيَّتي لا أَعشْ أنــا»
وفي الصدرِ شكُّ السيفَ شرَّفه صدرا.

*

معيِ من نشيد المجد، قيثارتي، معي...
نَمُرُّ بدار العمر حيث قضى شطرا،

ونسمعُ مَنْ غنَّته: « طِبْ، يا حَمامُ، طب
وهوِّمْ لمن منهم سيجترعُ المُرَّا... »

هُمُ لهمُ، أواهِ ! آنٌ يُذيبهم
ضنىً، وهْوَ آناتٌ لَتَهْدُرُهُ هدرا...

حَمامُ، هُمُ اكذُبْهُم، هو اصدُقْه، إنه
سيعرِفُ أن يشقى، سيعرِفُ أن يُغرى...

حَمامُ، وثلِّثْه له الدمعَ طيِّباً
كما ابنةُ كرمٍ في الجبالِ اكتوتْ جمرا،

فمَن غيرُه يدري بأنَّ حياتَه
ينابيعُ حِرْمانٍ ويقصدَها يَمْرا

فإِمَّـــا قَسَتْ بالنـــاس داوَرَهـــا يداً
وإِمَّـا بدت أَقسى به التـمسَ العُـذْرا.

ويا طيرُ، يا طيرَ الحَمامِ، افتِتِن بهم
بَنِيَّ الرِّضى، أَمّـا به فافتِـنِ الـعَصْرا!

هل الـعصرُ إِلاَّ ما استطـــارَ معلِّـــمٌ
من الشَّررِ النَّزّالِ في الهِممِ النَّصْرا؟

إِذا القـــدَرُ الأَعمـــى تطـــاولَ ردَّه
ومِن خلفِهِ الـنَشْءُ الأَبيُّ مشى نهـرا!

وتـمضي تُغنِّـي، ناسَ قِنديلُهـــا ولـــم
تزلْ تشتـري مجـداً وتـرفضُه خُسْرا،

تُغنِّـي وقـد طارَ الحَمـام ولـم يعُـــدْ
لِقصَّتِهـــا إِلاَّ تأَوُّهُهـــا جَهْـــرا.

أُغنيةَ الحُب

كالهِنـد سرُّ الهنــدِ أَنتَ، وكالنُّهــى
أَوَتنتهي ؟ وإِلــيكَ كان المُنتهــى !

ماذا ! وتَنهــزِم السيــوفُ كسيــرةً
ما نحن، تسأَلُ، ما الحَضيضُ مِن السُّهى؟

* في يوم نهرو.

أَدَّبتهـــا تلك الســيــوفَ، فصُنتَهـــــا
عمــا تَبـــذَّل، يوم يَصطـــرعُ البَهـــا.

كالهِنـد أَنتَ ! لقـد جمعتَ كتابَهـا،
سِفْـراً سيُقـرأُ لا آستُذِلَّ ولا صَهـــا[1]،

عالٍ، ومِ الثلـــج البَتـــول بيـــاضُه
أَوْ مِ الحمالايـا وهاتـــيكَ الصُّهـــى[2].

*

أُكملتَهـا النفسَ الكبيـــرةَ[3] لم تَكُـــنْ
ظِلاً ولـو للشمس تَبـراً من كَهـــى[4].

---

١) أصيب بجرح.
٢) الأبراج في أعالي الجبال.
٣) المهاتما.
٤) كلف.

أَوْدعتَ ما في كُلِّ بالٍ من هوىً
وبكل ما يُرجى، جُبلْتَ، ويُكْتَهى[1].

وَحَدٌ كما رُئيَ المَلاكُ رُؤىً، ومِن
طِيب البساطة أَين سُلطانُ الدَّها ؟

❊

ضُربت على الشُّعَف[2] العمالقُ حكمةً
هامت، كما الدنيا، تسائِلُ مَن لها ؟

بالرَّعد لاذت، بالرياح، وبالصَّبا
من أدهُرٍ، وتشبَّثت بالمُزدهى،

حتى إذا بَصُرَتْ بصدرك أَفْيحاً
ولَجَتْهُ فِردوساً لها... أَو شُبْهَا...

---

١) يجلّ.
٢) القمم.

أفـأنتَ من لُبنـانَ نسجُ غمامـةٍ
أَو صوتُها، تلك المكوكِبَةُ اللُّها ؟

أَو سكـرةُ الازميـلِ نُزِّل مُفْـرَداً،
في بعلبكَّ، على يَدَيْ رَبٍّ سها ؟

أَنا بعلبكُّ لي... ولي هندُ المـلَا
أُغرودتـا بالٍ إِذا الوتـرُ اشتهى:

أُغنيَّةُ الحجر استفاقَ الى العلى،
أُغنيَّـةُ الشَّعبِ استقـام فنُزِّهـا،

تلك السُّمُوُّ وهذه الرِّفْقُ اعتبِـرْ،
يا خاطري، ورِدِ الجمالَ تألَّهـا !

هَنَّا نَحصَّرْنا الصخَر أَعمدةً، على
إِفريزها انتحـرَ الزمـانُ مُوَلَّهـا،

وهنـاكَ قدُّوا النـفسَ كَونـاً مُفعمـاً
باللهِ أَروعَ ما أَبـاح ومـا نهـى.

هَنَّـا الضيـاءُ مجمَّـداً ومُقدَّمـاً
للشمس إنْ شحّت، لِقلبكَ إنْ وهى،

يُعطـي ويَرفَـعُ، ما يدٌ إن قَلَّـدَت
أُختاً لها؟ طابَ التَّفَـرُّدُ مَجبَهـا!

ولَأَعْمُـدٌ ينـهضن، يحملـن السمـا
بِدَعُ الجَهالـةِ هُنَّ أو بِدَعُ النُّهـى.

وجنـونُ ربِّك فوقَ عَقْـلِ عبـاده
إلاَّ الأُولـى جَعلـوا الحجـارةَ نُبَّهـا...

وهنـاك أَجنحـةُ السلام تَخُطُّهـا
في الأُفقِ أقـلامٌ تَرَفَّـعُ عن جَهـا[1]

---

1) خراب.

مِن بعضِهـا كان البيـاضُ، وقبلُهـا
والبَعدُ حاضرُها تَشعَّـعَ أَوجُهـا...

قالت صفاءَ القلب، وسوسةَ الحِلى،
لحظَ الأُميماتِ النواظِرِ مِن رَهـا[1]،

وكأنما الأنهـارُ مِن بَشَرٍ ومِـن
صوتٍ ومن موتٍ... هي الزمن التهى !

*

أُغنيَّتـان ! الهنـدُ، سينـاءُ السلام،
وبعلبكُّ، لُقى الجمال مجهجِهـا !

هاتيـكَ قد خَسِرَتْ يديك، وهـذه
أنّى لها إلهـامُ أَعمـىً أكمهـا ؟

---

١) سعة.

مَن قلّـدَ البلـــدَ الكبيـــرَ كَراصِفِ
الحُسْنِ الكبير ! كلاهما لن يُكنهـا !

*

يا هائمـاً خَلَـلَ الوجـود، ألا اشتَعِـلْ
في المُعوزين كما الزهورُ، كما الزُّها.

إحـدى تعـودُ الأغنيـاتُ كمـا الهـوى
في القلب إنْ صَدْرٌ إلى صدرٍ شَها.

كالهِنـد سرُّ الهِنـــدِ أنتَ، وكالنُّهـــى
أوَتنتهـى ؟ وإلـــيكَ كان المنتهـــى !

مُلْكٌ لكَ العمرُ

ما الموتُ ؟ شمخةُ رأسٍ منكَ تُفتقَدُ
واسلَمْ بباقة شِعرٍ، عِطْرُها الأَبدُ !

مَهابَــةُ الأَرز، بنتُ الفــارِسيِّ، أَنـــا
نَبكــيكَ، فلتتغــاوَ الستّــةُ العُمُــدُ.

---

* انشدت في يومي خليل مطران ببعلبك.

ومَـن تُرى قال: ليستْ سَبعـةً ؟ أُنـذا
عَينِـي إليكَ، أَلا فلْيَكْمُــلِ العَــدد.

سِواكَ في الشِّعر فلتَدمَـعْ عليـه رُبـىً،
وأَنت فَلتُجـرَحِ الغَيمــاتُ والجَلــد.

مُلْكٌ لك العصرُ، ذاكَ القَصْرُ تَرصُفُـه
ذكـراك. رُبَّـةَ أَمسٍ ضَجَّ فيــه غَدُ.

كأَنني بِكَ، يوم انـزحتَ عن جبـلٍ،
تنزاحُ رَدَّتْكَ صوبَ الخالديــن يد !

والخالـدون هُمُ البُـدّاع، من بَعُــدوا،
حتـى إذا لحِـقت دنيـا بهـم بَعُـدوا.

عانـيتَ، عانيتهـا الجُلّـى، كمــا لُعَبٌ
للـــكَسْر قد أَمَّلوهـــا أَنَّكَ الولَـــد.

وآنَ رُحْتَ تغنّيهـا سَمـوتَ بهـا،
كَذا يَمَسُّ الخريفَ الطائـرُ الغَـرِد.

لأنت والفكـرُ هَمُّ الله هَمُّكُمـا،
والآخرونَ بيـال الله ما وردوا...

ماذا تَرَكْتَ خلا الأخلاقَ ؟ لو جَدَثٌ
يَحكي لقال: « السنى في حُفرتي بَدَد ! »

ديوانَ شعرٍ، تُراها الحِكمَةُ انحبست
في دَفَّتينِ، كما في الغَيمةِ البَرَد ؟

هُنـا الـمساءُ ونيرونِيَّـةٌ، وهنـا
فَتاتُهُ الجبـلُ المحلـولِكُ الحَـرِد.

أُختُ التي بالضنى والآهةِ اتشحت،
وأسبلت أشقـراً بالريـح ينعقـد.

لَهْفي ! أبوها قضى، مَن كان يكفُلُها،
يُتْمُ الحرائـــر جُرحٌ ليس يَنضمِـــد !

لا هذه سَكتَت، لا تِلكمُ انغمدت
إلاّ إذا مَن غَزَوا أَقداسَها انغمـــدوا.

ومــــرَّةً هٰهُنــــا الآبادُ عاصفـــــةً
بالنـفس، قلتَ بسجـنٍ قُطِّع الزَّرد.

ومَن يَعِشْ فوقُ، عَيْشَ الصَّقْر، وُكْنَتُهُ
علـى الشّعافاتِ، لا تَستغوِهِ المُلُـــدُ.

القولُ لا قال... قال الفعْلُ. فاحتَرزي
يا قامةَ الرمح، أَنتِ الطَّعْنُ لا المَيَد.

غالَيتُ ؟... ما ريشةٌ في الكفّ مُشجِرَةٌ ؟
ما جلمـــدٌ جُبُتيرِيٌّ السنـــــىفَرِد ؟

أيٌّ أَداتُك ؟ لو خُيِّـــرتُ قلتُ: « به
كتبتَ، ذاك العمودُ الصامِدُ الصمـد،

غططتَــه فــي مِــدادٍ أَنْتَ عاصــرُهُ
مِ الشمس أَو مِ الرياحِ الهِيفِ تَتَّقد ! »

مَن كان عُوفِيَ لو أَنتَ انضنيتَ ؟ أَلا
أَهِبْ بأَنَّـا قُدامـى الفتــح والجُــدُد.

وُحِّدتُمـــا أَنتَ في الآساد باكيــــةً
وبعلـــبكٌّ... كلا فَتَّيكمـــــا أَسَد !

تآخـذا، شطـرُ بيتٍ وانهيــارُ عُلـــىً
مِن باب باخُسَ كادَتْ بالرَّدى تَفِـد،

تقول: « مَن يَسْمُ بي، حتى لَيُرجِعُني
إِلـيَّ، يَشْهَـقْ له مِن ضَوئِـيَ الجَمَـد،

روحٌ له أنا ذي، وليشْقَ فَهْو أنا،
وبعدُ فَلْيَفتَرِقْ عن روحه الجسد ».

وقبلَ أن أُرجِعَتْ، كانت يراعتُك
افتنَّت تلاعبُ من عَلَّوا ومَن عَضَدوا.

وأعنقتْ لَفْظَةٌ حتَّى لماد لها
مادٌ وقال: « انزِلي في النَّهر نبترد

فان وقعت على زَندي وجِعتُ أنا
للحسن أَطلبه في حَيثُما أَجد !

أَكون عدتُ هباءَاتٍ فيخلُقني
خَلْقاً، كأَنيَ مما لا أنا أَرِد.

أُبهى من البدءِ رَدُّ البدءِ ملعبةً،
فالعَبْ بكونٍ... ودَعْهُمْ يُفْنِهِمْ حَسَدُ... »

* * *

وعَنْـدلت قافيـاتٌ منكَ، فانتبـهت
حسناءُ نَقشُ عُلىً، في عُنْقِها صَيَد.

ـ أنتنَّ مَن ؟ قلن: « لا تَجّاهَلي اذْكري،
أما لأنكِ زلفاءٌ لنا سجدوا ؟ »

*

خليلُ، خِلتُ العظيمَ البعدُ مُتَّكِئٌ
في مقلع العِزّ، مَن لم يَحِكه أحد،

يقول: « فوقِيَ فَلْتُنقَشْ، فلا حجرٌ
سِوايَ أخْلَقُ بالمجد الذي فقدوا ! »

*

صديقَ لفتةِ عُمْرٍ، قد وعدتُكَ، لا
أخلفتُ، لا يُخلف الابطالُ إن وعَدوا.

ألمعتُ... فاعذِرْ ... فما إلاّ على قلمي
اصطكَّتْ سيوفٌ ولا إلاّ بيَ الحُشُدُ.

مُعلِّمــي أنتَ في الحُرِّيَّتيــن: هوًى
العُلى، وعَصْفــيَ بالثُّــوّار إن بَرُدوا،

هل كَذَّبوا ؟... قال لبنانٌ أنا... وأنـا
إمّـا وُجِـدتُ فبــالأحرارِ أُوجِــد !

دَاوِ شِعري

داوِ شعري اليومَ، ها شِعري كئيبُ،
غُصُنٌ شُرِّدَ عنــــه العندلـــيبُ.

في همومـــي كان أن تُغــــرَى به،
لَمْ يَعُدْ للأَرَجِ الذاكـي هُبـــوبُ.

* صبيحة بكينا انطون قازان.

لم تكـنْ ريحَ الشَّمــال اقتَلــعتْ،
لا الدُّجى يلتـفُّ، لا الهـمَّ ينــوبُ،

كنتَ ما لم يُدْرَ بالـحِسِّ وبالعقـلِ:
رُوحَ الـروحِ، تُحيــي وتَــذوبُ!

زُرتَها الأَرضَ ؟... أَشكُّ... اختلْ معي
زُرْتَ بيتَ الشِّعر، كالبالِ الحبيبُ...

ما غروبُ الشمسِ يُعطــي فكــرةً
عنكَ، بل نكهـــــةُ أَنْ ثمَّ غروبُ

في المَــلاكِ اتَّفقــوا أَنْ مفـــرَدٌ
شخصُه، لا مثلُهُ في الخمـرِ كوبُ.

أَتُــرى من سِربــه أَنتَ ؟ أَجِبْ.
أَوْجَعُ الأَجراحِ أَنْ لستَ تُجيبُ!

كلُّ شيءٍ هو في الكـــــون، سوى
اللهِ، مَن ناجت ولـم تَدْرِ القلـوبُ !

هو في المابعــــــد، في أُغنيَّـــــــةٍ
ربَّمـــا تسكُنهـــا أَنتَ تَطـــــيبُ.

أَنـــا إن تجمَـــحْ بعـــودي نغمـــةٌ
كنتَ انتَ الأَمرَ بالعـــودِ تُهـــيبُ.

نِصفُ شِعـــري كان كي تقـــرأه،
لا تُباعـدْ أَو هو القَفـــرُ الجـــديبُ.

أَمسِ، مُذْ دُكَّت قرىً من أَرضنـــا،
زُرتَ بالـي موجَعـاً فيـــه اللهـــيبُ،

فاستبـــــــــدَّت بي ثوانٍ كُنَّ لي
دقَّ بابٍ، قُلتَنـي الخاطـي يتـــوبُ !

ذاكــرٌ ليلــةَ نادينـــا علــــى
رؤيتـي للكـونِ والقـولُ صَخـوبُ ؟

رُحتَ تعلينــــيَ، حتــــى لَأَنا
خمرةٌ ضجَّتْ بها الكأسُ السَّكوبُ،

وُجُهاتُ الحــقّ تهــوى لفتتـــي،
قُلتَ وجــهُ الله تهــواه الــدروبُ!

ذاكــرٌ قـولَــكَ بــي منتصــراً
لجُنـوبٍ أنَّــه ثوبــي الــقشيبُ؟

أَلــبَسُ العِـــزَّ إذا أَلــــبَسُه
« آتِنا » منّي كمـا منهـا الشحـوبُ،

كان هَمّــــــي نبشَ ما في أرضه
مِن ذُرىً راحت عنِ الله تنــــوبُ،

نقـرت صيـــدونُ من بعـــدي أنـــا
وتـــراً قيثـــارُه الكـــونُ المَهـــيبُ،

وتغـــاوت صـــورُ، لا مملكـــةٌ
بعـدُ أو قبـــلُ تُدانيـهـا تَلـــوبُ،

لا على السيفِ انبنتْ، لكنْ على
قولةٍ أنْ ليس في صورَ كَذوبُ،

كِلمَـةٌ تُعطَى تَفـي، صِرنـا بهـا
شُركاءَ الأرضِ نَجْبي ونجوبُ!

وإذا مريـــمُ قانـــا ارتـــعشت
أنْ أجِبْ، لا في غدٍ، يا مستجيبُ،

وألـــحّت نبـــرةٌ في صـوتـهـــا
بعضُهـا لُبنـانُ أو شيءٌ قريبُ...

قال: يا ساعــــةُ، فِرِّي من غدٍ
هكـذا يُطَّـلَبُ الوجـهُ العَــذوبُ[1]

يومَها، فوق ربىً من عندنـــا،
ظَهَـــر اللهُ ومـــا عادَ يغـــيبُ !

الجُنوبُ ؟... اشمَخْ به رأساً رضىً،
كان لبنـانُ إذا كانَ الجُنـــوبُ.

كلُّ هذا قلتَــــه فِيَّ أنـــا ؟
كلُّ هذا أنتَ إنْ حُقَّ النصيبُ.

ضِعتُ في نُبْـلك من تيـهٍ كمـا
في الـذي قبَّلَـهُ ضاعَ الصّليبُ !

---

١) الذي ليس بينه وبين السماء ستر.

إنّي وذكراكَ، الكلامُ اليومَ: ما
تَبْغِهِ يُبْغَ وكالسيفِ يطيبُ.

شئتَني أبقى الضميرَ، اشدُدْ يدي
أو أدمّى وتَهاداني الخُطوبُ.

عِشتَ فُرقانَ الهدى، في حيثُما
كنتَ كان الحقُّ، ما اليومُ العصيبُ؟...

أَالصعوباتُ العُلى أَنتَ لها،
تضرِبُ الضربةَ وُثقى لا تَخيبُ،

بالشَّبا تهجمُ؟ بالصرخةِ؟ لا
إنما باللينِ مرماهُ غريبُ.

مرّةً تبسِمُ، تُغري المعتدي،
وتهزُّ الرأسَ، أُخرى، فتُريبُ.

لائــذاً بالـــحب تدري أنــــه
وحدَه القوَّةُ إن صابَ المُصيبُ.

يا شقيقَ الدِّيَمِ انهالَت علـــى
جبلٍ، فهو بما تهوى خصيبُ،

خارجَ المُمكنِ خُلْقـــاً ورضىً،
كنتَ، حتَّى لَيُمَنَّاكَ الوجـــوبُ.

لا من الأَرضِ ولا من نَبْتِها
أَنتَ. أَنتَ المعتَلى وهي الرُّسوبُ.

مرَّةً عرَّجتَ. قالـــوا: رابَهـــا
أَنْ رأَت مَن هو للبال ربيبُ،

أَعِدِ الكَرَّةَ، زُرْها اليـــومَ، زُرْ.
نُسْكِرِ الشِّعرَ أَنا والعندلـــيبُ.

عَملاقُ مِصْر

شِعْرٌ ولا أَنتَ؟... فِي بُرْدي انضنى أَلَمُ
عملاقَ مصرَ، تطلَّعْ، وانحنى هرمُ.

راثٍ أَنا اليومَ؟... دَعْني من رِثاً وبُكاً،
نارٌ ببالي وفاءٌ كنتُ أَعتزمُ

* يوم احتفلت مصر بعزيز اباظه.

قالوكَ تُكمل خطًّا؟... ويحهم خطِلوا،
في غفلة الوحي، أنت الطُّورُ والكَلِمُ.

أَالشِّعرُ بعدك صار الشِّعرَ، ردَّده
مَن رأسُه فوقُ، مَن لم يُغْرِه غُنُمُ.

إثنان أهواهما: نُبلٌ بشِعركَ لم
يَتْعبْ، ولبنانُ منه تتعبُ الأُممُ.

سُكري بشوقي أو آني غيرُ ذي شيمٍ
وقولُ شوقي بزحلَ[1] السُّكْرُ والشيمُ،

---

١) اشارة الى قول شوقي:

إنْ تُكْرِمي، يا زحلَ، شعري إنني
أنكرتُ كلَّ قصيدةٍ إلاّكِ،
أنتِ الخيالُ بديعُه وغريبُه
الله صاغكِ والزمانُ رواك !

هُنا الهوى شَدَّ بين الأُمَّتين، هنا
في الشرق، ما نَسَمَت قبل الهوى نَسَمُ،

لكنَّ شِعرَكَ أَنتَ، الشِّعرُ يعبُدُه
معي، ونَغوى أَنا والليلُ والنُّجُمُ...

ما أَمَّروكَ ؟... إخالُ التاجَ ضلَّلهم
وجاء جبهتَك الشمَّاءَ يستلمُ.

*

حُمِّلتُ غصناً من الأَرز، استظلَّ به
أَو رعمسيسُ أَو الوفَّادُ من عَظُموا

أَو مَن نماهم ثرى لُبنانَ، مبتَدِعُ
البُدّاعِ: مَن نثروا الدنيا ومن نظَموا،

به أَلفُ جبيناً لا الشموخُ حكى
أَغلى، ولا العودُ وفَّاهُ ولا النَّغمُ.

طَوَّقتَ جيدي بأني «عَقلُ أُمتنا
يعُلُّ مِن سِحريَ» الأَثباتُ والهُيُمُ؟

كلامُكَ السيفُ، ها بالسيفِ تُرسِلُه،
والاصطكاكُ سَكوتٌ عنده القلمُ!

بديعُ رَصْفك، فيه أَنت: قامتُكَ
الغيناءُ، صدرُك، صدقُ العزمة، الشَّممُ،

وفيه من أُسرةٍ قُلتَ الرماحُ نَمَتْ
قوماً، وقلتَ بِخَيْلٍ طارتِ الهِممُ!

مصرٌ تنشِّئُ ما القوقازُ أَنبته
منها الحضارةُ، منه النَّبلةُ الحَكَمُ.

ما الشطرُ من بيتك الملآنِ غير صدىً
لكرَّةٍ عبْرَها الأَعداءُ تنهزمُ،

حتـــى إذا ردَّ شطـــرٌ آخـــرٌ لمَـــعت
أُهزوجـةُ النصـر يَغـوى فوقهـا العَلَـمُ!

أمَّـــا القصيـــدةُ، مما رُحْتَ تَغْمُرُه،
فـالبرجُ مـاد كمـن بالأُفـقِ يصطـدمُ،

يقـــول إنَّ ابتهـــالاً سِرُّ فتنتـــه
وإنَّ دقًّا على بابِ السمـا الحُكُـمُ !

*

غنَّيتَ لُبنى، ألُبنـى غيـرُ مَن هجـرتْ
لتسكـنَ الدمع في عينيك يَنسجـمُ ؟

لَنجمةُ الصبحِ ودَّت لو تكـونُ لهـا
بديلـــةً، وعليهـــا الشِّعـــر ينهـــدمُ.

واريتَهـا لا بتُرْبٍ، بل بوردِ ضُحىً،
والـــحبُّ حبُّك وردٌ بالشذا بَرِمُ...

وفجَّر الدمعُ فيك النبـعَ. مصرُ، رِدي
نِيلاً من الشِّعـر، يا نيـلاً هو الكَـرَمُ.

بمصرَ حُبِّـــبتِ الدَنيـــا، فكيـــف إذا
راحتْ على الريشةِ الخضراءِ تضطرم ؟

أَقـولُ: كُتْبٌ الـى نجـمٍ تُشَدُّ فطِـرْ،
حُدوثُ، والعبْ كما لم يلعبِ القِدَمُ.

*

عِمـلاقَ مصرَ، قوافيكَ الكِبـارُ بنـــا،
بنبلهـــــــــا ما يزالُ الأَرزُ يتَّسمُ.

ومَـن أنـا لأَردَّ اليـــومَ بَعضَ ندىً ؟
صُـمٌّ قوافـيَّ في رَدِّ النـــدى بُكُـــمُ.

إنْ شاعـرٌ هامَ بالنيـل انـتشتْ قِمـمٌ،
في أَرضنـا، أَو تصبَّـى مادتِ القِمـمُ.

مِصرٌ هي المَجدُ، كان المجدُ مُذْ طَفَرَتْ
في البالِ، فالكـون أُذْنٌ بعدَهـا وفـمُ.

أُولـو النُّهـى الصِّيـدُ[1] نادَتْهـم هياكلُهـا،
وعِلمُهـا رَفَـدَ الصِّيـدَ الأُولـى عَلِمـوا.

غاوٍ بها شرفُ الانسانِ، ما خَذَلت
عصراً، وغاوٍ بها ذو الـريشةِ العَـرِمُ،

إنْ ضامها الضَّيمُ مَسَّ الخالقين دُنىً،
أو نالهـا الظُّلـمُ راح الحـقُّ يَظَّلـمُ.

لبنانُ نحن ! وها نحن الشهـودُ لهـا،
نَديـن، يوم آنْـتصافٍ، ليس نَتَّهِـمُ.

---

١) الفلاسفة الاغارقة.

الحبُّ نحن شرَعنا[1] ، الحُسنُ نحن بدَعنا،
البُغضُ نحن قطعنا أَنه العدمُ،

جبيلُ قالت بقاءَ النفس واكتشفتْ
ربَّا أَبى لقضاءِ السيف يُحتكمُ،

الليلُ لولا سُراها غربةٌ قتلتْ
والشمسُ لولا هواها وَهْمُ مَن وَهِمُوا .

بَلى، جراحاتُ مصرٍ في مضاجعنا،
في الروح يُسخى بها، في العَظم يَنثلم،

في الريحِ، في غَضَبات الغيظ، في غَدِنا،
في مبتغى ما ابتغى الأَبطالُ إنْ هجموا،

---

١) اشارة الى قول الاله إيل: « الحربُ ليست من مشيئتي، ضَعوا الأرض الصلحَ، ابذروا في التراب المحبةَ، وصبُّوا السلامَ في قلب الأرض ».

ما لم نَزِنْ مِصرَ وزنَ الحقِّ يبقَ دمٌ
علـى الضميـرِ ويبقـى أَن يُراقَ دمُ!

*

أَطللتُ منكَ علـى التاريـخِ رنَّحنـي،
همي كما الضوءُ في بالي، كما الدِّيَمُ...

ويَعطَـرُ البـالُ إنْ يَمْسَسْكَ، عِطْرَ يَدٍ
مسَّت بنفسجـــةً أَنفاسُهـــا حُزُمُ.

لِمْ لا؟... وفي القَصص العالي الذي نَسجَتْ
غزَّارتـاكَ استجـدَّت سِحرَهـا النُّظُــمُ.

غدا الهـوى بِدعـةً، مرًّا ببـــال هوىً
وسُكْرَ عقـلٍ علـَى القرطـاس يرتسمُ،

وآيـــةً طَرُفَتْ حتَّـــى ليرشُقُهـــا
غيَّـان أنْ أَنـا ضِلِّيـلٌ ولـــي جُرُمُ...

بالكـأسِ أُفـديكَ، بالدنيـا، بساجعـةٍ،
بلـوزِ نيسانَ للزَّيْنـات يَبـتسمُ،

بالشِّعـرِ، بالمنتهى، بالمجـدِ أَشعلَنـي،
بحـظٍّ عينـي بعيـن الحـقّ أُلتهـم!

حتى إذا لاحَ لي أني وَهَمْتُ؟ هَمَتْ
منّي الشجونُ كَمِـن أفلاكِها السُّدُمُ!

رفيـقَ شطـرةِ عمـرٍ، ذاكـرٌ ولَهـاً
بشِعـرِ مَطـرانَ والأَلبـابُ تحتـدمُ؟

أَسمعتُكَ المُرتجى. ما كان؟... دَعْ خُلُقي
لِلصمت، لا شَرَفٌ إلّاكَ، لا ذِمَـمُ!

ما زلتُ منها كما بَوحُ النسيم لمـن
من النُّسيمات تُشقـي وهْـيَ لا عَلَـمُ:

ـــ مُرّي بدارتنا، يا طِفلَ، وانحَطِمي
على بساطٍ من النِّسرينِ يَنحطِمُ...

بِهُدبكِ الريحُ تنأى، أنتِ مرتحَلٌ!
بقدِّكِ الشوكُ يَدْمى، أنتِ منتقَمُ!!

إنْ كان بالهَزْجِ من صُبْحيكِ لا أمَلٌ
فعِند خصرِكِ لِمْ لا يصدُقُ الحُلُمُ؟

حتّى إذا ينـدري شَعْرٌ وكنتِ غِوىً
تَملْمليـن، وآهَ القـولُ والـقَسَمُ،

تَهُـمُّ شمسٌ بأن تَغْشى فأمنعُهـا:
ضِيعي معي، يا ضَياعي، وآحْلُ يا ندمُ...

وتسألين: لِمن سُهْدي، بمن وجَعي؟
يا قاطفَ الشمسِ، أكمِلْ أو أنا الرِّمَمُ!

ونَنتهـي ننتهـي في قُبْلـةٍ ولِـهَتْ
وفوقُ يغمزُ فينا بُلبل رُنُمُ...

شيءٌ عنِ الشِّعر هذا، آستلَّه كَلِفٌ
بالشِّعر، أم سُكْرُ صبٍّ ليس يحتشمُ؟

فلْنبقِه بيننا سرَّ الكؤوسِ، بها
يَمرُّ هاوٍ فيدري أنَّه الجَمَمُ.

*

عملاقَ مصرَ، إذا أُعوِزْتَ في خُلُدٍ
فضُمَّ من خُلْدِنا ما شاءَتِ الضُّمَمُ،

مِن زهر لُبنانَ خُذْ عرشاً ومن قيمٍ،
لا زهرُ لبنانَ منّانٌ ولا القِيَمُ.

فَلْيَرْوِ الزمانُ

على اسمكَ، بين الحَوْر أغوى وأَهدُرُ،
أنا النهرُ، شوقي، أيُّنا اليومَ أشعَرُ؟

هنا، الذكرياتُ، المجدُ، ما بعدُ من صِباً،
هنا أنتَ، فليرو الزمانُ ويسكرُ!

---

* يوم احتفاء زحله بتمثال احمد شوقي.

طرقتَ، لِمامَ الطيفِ، ذاتَ عشيةٍ
وكوكبَ من حَوْليكَ جِنٌّ وسُمَّرُ...

هُمُ أسمعوكَ القولَ، زُلزلتَ من شجىً،
هُمُ سكبوا، جُنَّتْ بكأسكَ أخمُرُ،

وحتى اذا غنَّى (شفيقٌ) ورُنِّحتْ
بلابلُ واعلولتْ، لِما قال، أنسُرُ،

وعرَّجَ صوبَ الكون (راجي) يزيدُه
صِباً، وتغاوتْ حِكْمةٌ تتأزَّرَ،

ولاعب بعضاً من خواطرَ أو منىً
بيانٌ لذاك (الشبلِ) بالضوءِ يقطُرُ،

وكانت نسيماتٌ لزحلَ عليلةٌ
تجِي وتهِي والليلُ تعبانُ مقمرُ،

يسائلُ: هذا الكونُ أكبــرُ أمِ همُ،
نماهمِ وغنَّى أمْ نمَــوْه وخبَّــروا ؟

هممتَ بنُطقٍ... انما هِبتَ موقفاً
فقلتَ: لكمِ يومٌ معي طاب يُذكرُ.

*

على سنتين الأرضُ دارتْ... تطلّعي،
قصيدةَ شوقي، جاءَكِ السهلُ يُزهِرُ...

تقولين ماذا ؟ أننا السيفُ والنُهــى
لَهَونا بأكــوازِ النجــومِ نبعثــرُ ؟

وأنْ جارةٌ طابتْ على الحبِّ فالتوت،
لهــا فوق زَنْــدٍ غَنجــةٌ وتكبُّــرُ ؟

قصيــدةُ، فُضّي السرَّ: خصرُ حبيبــةٍ
هنــا أم كلامٌ أبجــديٌّ مخــدِّرُ ؟

أنا بعدما اعذوذبتُ أَعبُدُ شِعْـرَهُ،
وقعتِ على زَنـدي وشَعرُكِ أَشقـرُ...

هو افتَنَّ قصداً، قال شَعْرُكِ مِن دجىً
يُستِّرُ... والـعُشَّاقُ دومـاً تستِّـرُ...

وقد لا تكونيـن استجبتِ. رددتِـه
كسيراً... فان يعزِفْ فعودٌ مجبَّرُ...

تعالَيْ نُحِبُّ الحبَّ، جارةُ، لا انتهى
اليـه زمـانٌ، لا براه تحسُّرُ،

كما اسمان في بعضِ الحكايات عانقا
مَخِيلَـةَ قُرَّاءٍ فجُنُّـوا ودُمِّـروا...

سِوانا بعصرِ الكرم يسكرُ. نحن لا.
بنا سُكْرُهُ الكرمُ، اقطِفيكِ سأعصِرُ...

أنــا لي أفانيـــنٌ جديـــداتٌ لذةٍ
عليهـــنَّ كرُّ الثانيـــاتِ مسمَّـــرُ،

اذا همَّ آنٌ بالنفـــــاد ثنيتُـــــه،
تُرى الآن يُدرى لو أنا لست أنظرُ ؟

تمرُّ يدي من خلفِ خصرِكِ... لا جنت...
كفى أنْ ستُستهوى... كفى أنْ ستُهدَرُ...

لذائذُنـــا بالشوكِ أغـــرى تفتُّحـــاً
وأوجـعُ من شمِّ العَـــرارِ وأعطـــرُ،

وطـرفُكِ يَحْلَولي لي فيخلـــقُ جنـــةً،
ويقطِفُهـا طرفـي فهـــا هيَ أكثـــرُ...

نميدُ ؟... دعينا... بل تميدُ بنا الرُّبى
لنحـنُ غِواهـنَّ الرُّبـى والتبختُـــرُ !...

تقولين لي: «أهواكَ !» تفترُّ زهرةٌ
ببالِ الصدى تحكي... وتبكي... وتسهَر...

وإنْ تسكُتي أَحيَ التقاءَةَ لفتةٍ
بلفتةِ تلك العينِ تدعو... فأُبحِرُ...

الى أينَ ؟... من يدري ؟... لَسِرُّكِ بعضُهُ
الدُّموعُ... وسِرّي أنني لا أُخيَّرُ !

وألمعتُ أنْ لو يلتقي بفمٍ فمٌ
فألمعتِ أن لو لا يكونُ المقدَّرُ.

وحاولتُ أن أشفى. سوى أنَّ عاصفاً
بصدري رماني حيثُ سحْرُكِ يسحَرُ.

وشدَّكِ صوبي من ذراعي تولُّهٌ،
وأنك طوقُ المستحيلِ وأكسِرُ !

*

بعيدٌ قريبٌ... عهدُ زحلةَ بالـــذي
رماها ببالِ النـاسِ حسنـاءَ تطفِرُ...

وآنا هي الشّعرُ الوحيدُ، أما انتهى
الى قولةٍ فيها تعيشُ وتخطُـــرُ؟

عروسيَ، حبّـــي ما بدعتُ. لمنكِــرٌ
أنا كلَّ شِعري، غيرَ ما عنكِ أسطُرُ!

بقلبيَ، شوقي، أنتَ! بالنهر، بالنـدى
بكـل شذا وردٍ كمـا الخُلْقُ يُنشَرُ!

تفينـا الوفـا هذا لأنَّا علــى الهــوى
هززناكَ، يوماً؟ ما الهوى؟ النُّبلُ أكبرُ؟

لَمِنْ أجلها ها أنتَ، ما الصبحُ، ما المسا؟
علـى ضِفَّـةِ النَّهْـرِ، الأميــرُ المؤمَّــرُ

ولكنَّ منّا من بكى. هل سمعتَهُ
يسائلُ، والتسآلُ كالبوحِ يؤثَرُ:

ــ حديداً رَجَعتَ اليوم ؟! ويحَ مسافرٍ
كما مرمرٌ هَنَّا، وهَنَّا تمرمُرُ،

وما همَّ... كنتَ الشعرَ، يُكتبُ فرحةً
فيقرأُ آهاً، طابَ يَشدو ويَزأَرُ...

يخالونك الوَقّافَ: أَحداثُ عصرهم
لوتك، كما الأَطلالُ والرَّكبُ يهجُرُ،

يضِلُّون ! لا إِلّا الجمالُ عبدتَه،
كبعضِ الدُّمى أَحداثُهم بك تعبُرُ.

همومُهمُ الناسُ: الغنى، السكرةُ، العُلى،
وهمُّك رشقُ الآنِ بالحُسْنِ يَبْهَرُ...

تَوافهُ ؟ ما كانوا، ظروفاً تخِذْتَها،
كشمسٍ تدوسُ الليلَ تقهَرُ تقهَرُ ...

همُ مفرداتُ المُعْجَمِ السُّودُ سلَّها
لَيرصُفُها كالنارِ غاوٍ مغيِّرُ،

فتسمعُ دنيا ما يقولُ وما يرى،
وتقلقُ بنتُ الغيب نهداً وتظهرُ !

وما الشعرُ ؟ بعضُ الغيبِ غنَّى كطائرٍ
وبعضُ نُهىً إن رَدَّ رَدَّ يُحيِّرُ.

ويا رُبَّ حرفٍ أَشعلَ الشطرَ كلَّه،
وشعبِ خرابٍ سوف تبنيهِ أَشطُرُ !

أختُ الكتاب

تمنَّعتِ في قلب الشمالِ كما الحِصنُ
لكِ السَهْمُ يا اختَ الكتاب، لكِ الرَّنُ

عليك تُخَطّ الشمسُ صعباً جمالُها
وآنا تُخَطّ الريح عاصفُها لَدن

فَيسمعُك الحكّام، يَخفُت صوتُهم،
كأن قُلّموا ظِفرا، كأن مَسّهم وهن

* في يوم « صدى الشمال » الذي احتفلت به الأمة في طرابلس.

ويُشرِق بعضُ النور من صوب اهدنٍ
لأن اسودّا أُشعِرت أن طما ٱلغبن

ويا نُقطةً م الأرض شُدّت الى العُلى
رجالُكِ الّا بالرجولة لم يَبنوا

صحيفتُنا أم سيفنا ؟ أيّ فارق ؟...
هنا شَمَختْ رأسٌ، هنا شمخ الفن

شُغِفْتُ أنا بالعنفوان، خبرتُه
صنوفاً، وآخاني كما الغيمةَ المُزن

ولكنني للعنفوان بمرقَم
تمايلتُ قلتِ الطير مال به الغصن

أسائلني: بالورد، بالشعر، بالسنى،
أنا جئت، أم بالليل أطرحُه يرنو

الى قلم لبنانُ أحلام باله
وأرزتُه ما مُكتساهُ وما الرَدنُ

أنا قلمي ــ أفديه ! ــ طفل ازاءه
له الزأر إن نغضب معاً، ولِيَ الأنُّ

يصول يجول، النارُ بعض صريره،
به الأنسُ من غاب الشِمال أو الجن،

وعلَّم أذني كيف تُنقر نبلةٌ
كعود، وعيني كيفَ يبتسم الطعن

لَرائعةٌ شكَّاته يوم هجمة
وصافية آراؤه والملا جُنُّوا

يقول: هنا هادن، هناك أضربِ الخنى،
هنالك خلّ المستبدَّ له عَنّ

وكـابِـرْ على جـرح وقل: لمَ أُصَب أنا
ودع قيحةَ الحُكَّامِ يُسكرها الأَحنُ[1]

وأجملُها الهمَّــات أن غـريمهـــا
يميع على الجُلَّى كمن هذّه الجبن

وما الحق لم تطرب له، لم تهِم به،
هو الراهنُ الغلّاب والآخر الظنّ...

ومـا ضرّ أن رَدّوا علـيك بمثلهـا
وحطَّم منك الضَغثُ[2] ما حطَّم الضغنُ![3]...

ستكبُــر ان تُهــزم لأنك في غد
سترجـع رُجعى السيـف طيِّبةُ السنّ

بلى هكـذا رحنـا معاً نبتني العلـى
سخـاءً بلهـو، وحـدَه اللهوُ لا مَنُّ

---

١) إضمار العداوة

٢) الخلط

٣) الحقد

مُنانا رضى لبنان، وجْهُ خلوده،
نضيع به كالشمس ضاع بها الدَجن[1]

وما همّ أن مُتنا ولم نبلغِ المنى
كفى أن مشينا لا التواءَ ولا هَدْن

غداً، في خُطانا، يجبَه الصعبَ نفسَه
بنونَ همُ الاسياف مِقبضُها نحن

اليكِ، أيا أخت الكتاب، مكارمٌ
تَحُجّ، تقول: الكأسُ هَمِّيَ لا الدَّنُّ

هل الخمر بالحجم ؟... اكشِفي عنك: آتنا
كما صورُ، قلّ الجِسم واكثوثر الذهن

بأسطرك اللا بالألوف حميته
الشِمال، جِبالاً مِن جنىً حُوَّل الحَزْن

---

١) الليل

فلا مجدَ مِن أرث الجدود اغتفلتِهِ
ولَا غدَ عزٍّ هِبتِه وهوَ مُكتنٌ[1]

جميعاً جمالُ الروح أنتِ له صدىً
جميعاً بهاءُ الله أنتَ ِ له سَدْن

بنفسجةَ الأقلام، يومُك، أُمَّةٌ
بهِ افتُتنت والعمر أُجْمَلُهُ فَتَنْ

لَيُطرِب بالي حملُ قِيثارتي هنا
ولا طَرَبَ الأوتار طار بها اللحن

وشِعري الذي غنَاك طيَّبتِ بثَّه
كما دقَّةُ المِهباج طيَّبها البُنّ

١) مُخبَّأ

رصّعت بالي

رصّعتَ بالـي وعُمـري ازهـــرٌ نضُرُ
كمـا يُرصّع ليــلَ العــاشق القمــرُ

ودارت الأرض، لُقيـانـا عـلـى وَرق
لقيـا التي جُنّ من سَمْعٍ بها الوتر

لا مسها... لا رآها... صُوّرت املاً
في موضعٍ ما... واحلاه الهوى صُوَر

---

* في يوم شفيق معلوف الذي دعت اليه مدينة الشِعر.

ابقى من الحب وُدٌ اين عارفُه ؟
هل يعرف العطرَ الا زهرُه العَطر ؟

إن شاعرانِ، كما نحن، استطابهما
عصرٌ وناجتْهما في القبة الدرر

وفتّحا الورد من روض ومن رِيَش
وفتتا المِسك حتى لهْوَ منهمر

ورقّصاالجنَ والاحلامَ وانتهرا
بَوّابةَ الليل أنْ فلْتُهتكِ السُتُر

وكان قلباهما ما الصدق ؟ ما شممٌ ؟
ما الشمس تقطفها كَفٌ وتعتصر ؟

يبقى على الدهر ما خطّا... وما نَسِيا...
وما به آه مما أُسمِعَ الحجر...

أَجِب، أُخَيَّ، الصداقاتُ التي ربطَت
ما بيننا امس، حقاً شابها قِصَر؟

حقاً ستَنقل كُتْبُ اننا خبر
كالغيب يُسأل دوماً فيه: ما الخبر ؟

ومرتين، عطيّاتُ الزمان هما،
يشاؤنا نَلتقي لا يَبخل العمُر

على ربى كرمة او ضِفّتي نهَرٍ
له الهدير الذي ما زال يُبتكَر

اقول: خلّكَ في لبنان، مرتعُها
تلك الطفولةُ نادى والمُنى كُثُر

يُحِبّنا النهرُ، يَروي ان منبتَنا
في حيثما نبتَ الشجعان والشجر

وأنّ زحْلَ سمـــاءٌ بعضُ انجمهـــا
الشعرُ، الندى، الزنبقاتُ، النخوة، الكِبَر

لها الفتوحات حيث الوُلْدُ قد ملكوا
لكنمـا العـــرش حيث الأمّ تنتَظـــر

تحتجُّ انت بفِلـذات لهـــم وطـــن
هناك، يا جُرْحَ بيتٍ اهلـه انشطـروا

الا انفُضِ اليوم عنك القبـرَ مدَّرعـاً
مهابـــةَ الصقـــر عينـــاهُ هوىً شَزِر

مجلجـــلاً: أنـــا كلٌّ لا أشرذمُنـــي
على الدخيل انتصرْتُ ؟ الكلُّ منتصَر

وواحـدٌ مجـدُ لبنـان الـذي أُخـذَتْ
عنه الحـضارةُ ما لـولاه ولا حـضَـر

جبيلُ بيروتُ صيدونٌ طرابلسٌ
إطارها البَدْءُ او لا كانت الأُطُرُ

ان مُسَّ ذِكرٌ لِقانا او لِصورَ سنىً
مُسَّ الكمالُ، رؤى التاريخ والعِبر

او خُمّشت لَمعةٌ مِن بَعلبكَ اسىً
توجَّعتْ مُهجاتُ الحُسن تنفطر

أقسِّمُ البيتَ ؟! ماذا ! الأنتصارُ سُدىً !؟
ماذا ! دماء رفاقي في الفلا هدَر !؟

لِبعض لبنانَ قاتلْتُ ؟! اشهَدي، شيَمي،
كما السواحلُ هاتيك الربى الخضُر

شمالُهُن، الجنوب، القلب تلك سما
بالي، لَتبقى ويبقى الرمْل والنَهَر

ووحدَهُمْ اهلّها اغلى على كبدي
منها، كعينيَّ اغلى منهما البصر

جميعُنا لفحَتْنا الحرب: ذاك بما
قاسى، وهذا بقصْدِ الموت يبتدر

ولن افرّقَ، ناسي الناس لا بعُدوا
كذا الينابيعُ، مائي الماءُ لا الكَدر

ولستُ اخسر نصراً هزّ اعمدةً،
لبنانُ منشطرٌ ؟ لبنانُ مندحر !

تراجعٌ نحن ؟ سُكنى في الخباء ؟ أشِحْ
جمالهُ السيف ان السيف ينشهر

بلى جراحُكَ مِن بَحر تَوزّعنا
هَنّا وهَنّا صغارٌ عندها الحُفَر !

اسكنْتَها بعضَ قصدان كما غُصصٌ
للناي اوجعُ منها الناسُ ان غَدروا

إفتِنْ بشعركَ لكن قلْ تحطِّمَه
ممن غوَوا وبذِمات العلى كفروا

لوَحدَه في العداوات الدخيلُ، جرى
بباله غَصْبُ ارض تُرْبُها الطهُر

وان نكن لِربىً خضرٍ شمخْنَ هوىً
شطٍ وقمّاتِ صخرٍ ليس تنكسر

معانادتٍ، لها في الله، والتفتت
دوماً الى الله، قل هل بعدَها خُسُر ؟

بلى سنبقى ويبقى فوق صخرته
لبنان قهّارَ مَن ما غيرُهم قُهروا

وقال مِن خطر نمضي الى خطر ؟
ما همّ ؟ نحن خُلقنا بيتُنا الخطر

يا شاعرَ الحكمةِ اعلولتْ كما شرفٌ
هيمى بما لا حكى الإغريق لا سطروا

واين منبتُها ؟ الصحراء ؟ ويكَ ! أجبْ
أأنتَ ربٌ ليغشى قفرَك الزهَر ؟

تلك الأساطيرُ شكْرُ البال، واحدةٌ
منها مرورُكَ في الدنيا كما الشَرر

تكون كانت، وشقّت عبقرٌ غدَها،
لو لم تَعَرَّ لعِملاق وتأتزر ؟

حقائقٌ ام خيالاتٌ ملأتَ بها
كأسَ الوجود فدارتْ والملا سكِروا

قلتَ الجراحَ زهورَ الحبّ، قلتَ ندىً
هَمَّ الندى، قلتَ ما السُهّارُ إن سهروا

غَوَوْا عذارى وزَيْنـاتٍ خواطـرَ، ضِعْ
ما بين بين يَجذْكَ الصحبُ يا سمر

الليلُ يشقى بعشاق ؟! ضللتَ منى،
يشقى بها الليـل تلك الخـرَّدُ الفكـر

وقلتَ كيف الهوى الباقي ولو جُرُحاً
اشهى مِن العمر جرّاحا به الضجر!

وقلتَ ما الحـربُ الا القـوةُ أفتُتِنتْ
بنفسهـا، وزهــورُ الشر لا ثـمــرُ

وان حرّيةٌ فــوق الجَمــــال هي
الاحـرار، لا الكلماتُ الخُلّبُ الغُرَر

وأن مَن عَمَد العَليا باعمدة
كبعلبكَّ أطاعته العُلى الأخر

حنتْ عليه السما، أغفتْ على يده،
كما تغافى على اجفانِه النظر

وقُلتَ ما قاله للشمس عابدُها:
اغدو انا انتِ او لا يُبلَغ الوطر

ماذا ! شردْتُ انا ؟ حمّلتُ خمرك ما
اهوى ؟ لها الكأسُ اما طيّبت عُذُر

جُزْ جُزْ معي صوب اخت الحسن، ربّتِه،
في كل بال أناهيدٌ لها اثر

عرفتُهما انا مَنْ، والحسنُ اعرفهُ
براه ربٌ ولكن كمَّلَ البشر

نقلتَهــــــا عن هواك، اللهَ في يدهِ
شاركتَ !ها بِكَ أنتَ الحُسنُ يأتمر !

أعزُفْ وريشتكَ الهُدبانِ، ضِع وأضِعْ ؟
وعبْرَ هُدبَينِ كم يَعذوذبُ السفـر !

يا وردةَ الـورد، خُطّي فوق ناسمـةٍ
أنْ زرْتِها الارض فاحلولت لها ذِكَرُ

عينـانِ لا الليـلُ مرمِيـًّا بغيرهمـــا
ليـلٌ ولا الضوءُ الا منهمـا خـدِر

ومُعنِقٌ لم يزلْ يعلـو كأنْ سـحَـر
يقـول ازميلُـه: لا ينتهـي السَحَـر...

وقامـةٌ شكُّهـــا شكُّ الجريـــد بدتْ
لِقاهريـن بَهَـوا بالحـرب ما انبهـروا

بلى، التقاءُ التي صُبَّتْ، كما حلُمٌ
في بال شاعرها، قهرٌ ومقتدَر

لأمةٍ صانها عن ذلّة قلمٌ
لا السيفُ اجملُ ان يُسعِفْ ولا القدر

لِمَ انتصرنا؟ أمتّنا الموت؟ لم نهب
الدنيا تجمّعَ منها النابُ والظُفُر؟

لأنّنا كان منا شاعرٌ عَبَدَ الحسن،
العلى، المنتهى، العِرضَ الذي يفِر

ندى الغمام، سماحَ الكف، رَدَّكَ لم
تَجبُن — قوافٍ بهِنَّ الله يُختصر!

زهورُ لبنان، وهْي الحربُ، ما وفدتْ،
نكَّستُها الأسْيُف، اعبرْ رأسَ مَن عبروا

الى الخلود الى حبِّي، الى ملأٌ
أعلى، جِثيٌّ له التيجانُ والسُرر

الى ظلال التي في المنتهى ورَفَت،
على اسم سِدْرتنا، تعلو وتنتشر !

آتٍ مع زهر لبنانا

ذكراكَ في البال ما ذكراك؟.. قل ضُرِبا
على هوى الرعد سيفٌ أشعل السُحُبا

ولــو لِريشــة عصــرٍ أَن تظلّلــه
لكنتَ كالليـل لفَّ المنتهــى بإبــا

والليـل وحـدَك تدري أيــن مَنبَعُــه
وكيـف كان وكـان الله ما وهبـــا

* في مهرجان «أيام طه حسين» بالقاهرة.

مِن قبل ما الأزلُ ابدوْدَى رمى يدَه
على الذي سوف يغدو الكونَ واجتذبا

كذاك أنت، رمتْ عينــاك ليلَهمــا
ثِقلاً على الشرق، ردَّ الشرقَ ملتهبا !

لا، لم تَقلها « استفيقوا »، انما بدعت
يداك بدعـاً تصبَّى الجفـن والهُدُبــا

بات الـذي يقـرأ « الايـام » مختليـاً
بالحسن والحسن يُنبي يومَ ليس نبـا

*

بعـد الكتـاب الشجـيِّ استُـنَّ مُنتهَـج
أنْ يصدق القلم، أزهوهى ام انتحبـا

تعلَّـم الجيـل من طفـل تـمُـرُّ بـه
أزاهر فـترى في وجـهـه العطَبـا

فتكتمُ الحزن عنه خوف تجرحه
لكنه هو لا يستهذب الكذِبا

يمضي اليها يغنيها يحبِّبها
به: « يا أزاهيرُ، انتشي طربا

أنا الطبيعةُ لم تُغدق عليَّ فلِمْ
أرُدُّ بالمثل ؟... هاني الكأسَ والحَببا

الا اشربي، يا أزاهير، اشربي: لَيَدي
تسخى كما النيل ان واثبتهِ وثبا ».

تعلَّم الجيل من طفل تؤدبه
« الأيام » حتى ليغدو وحده الادبا !

*

مَن واكبوكَ وَمَن ظلُّوا العجاج بِهِمْ
بنيتَ مصرك واستنبتَّها القُبَبا

كمـا صرعتَ، رفـعتَ: الريـحُ آيتُهـا
أنذ الغِـوى هيَ، لا ثوبٌ ولا قَشَبـا

واليومَ في ظل ما أطلعتَ من فِكَـرٍ
يُنامُ تيهًا على المجد الذي اصطخبا

دعني وخاطرةً تفترُّ قلتَ « نفرتيتي »
تعـود علـى لِعْبـاتِ من لَعِبـا

ذاك الذي حطَّ في الصُلْب الجمال اذ
اعلولـى، وسمَّرهـا الأغنيَّـةَ الذَهبـا

مُخَلِيـاً لشروق الشمس غصَّ شجاً
وباعثـاً حَسداً في النـاي إن عذُبـا

ومَسحـةً لا تنِـي سِراً ومفتَتَنـا
بأن يُرى أرَبـاً ما لم يكُـن أربـا

وشائلٌ بغِواهـــا وهْـــمُ ان لـهـــا
مثلَ الجناحين رفًّا فوق... واغتربا...

وما التقى الحُسْنُ من لبنان ضجَّ صِباً
بفنّ مصر تغـاوى في الحديـد صِبـا

حتى غدت للأولى قيلوا العقول مُنىً،
وللأولـى ارتحـن لاستغبائهـــن غَبـــا

لا الحسُن، بل حُلْمُ أنْ الحسنَ طوعُ يدٍ
كأنمـا الله ممـــا نَفهَـــمُ اقتـربـــا

ذاك الـــذي تَرك التِمثـــال متعبـــةً
للنـاس قالـوا انتهـى يومَ انتهـى تعبـا

إزميلـــهُ أنت أم لِمْساتُ إصبَعِـــه ؟
سَلْ وجْهَ مصر وما أَعطى وما خَلَبا

*

ومصرُ ثِنتان: ما احييتَ انت وما
أَلهَمْتَ. هذي وتلك الفكرُ منتسِبا

اللهُ؟ أيَّ هُدىً كانت هياكلُها؟
ومن تَعاجب لو لم تُعْطِهِ العجبا

نادت بُناةَ اثينا من غدٍ، ورمت
في قلبهم شُعلةً تستوقف الحِقبا

واستعجلتهم، فبرّوا امَّهم كرَما
فكوّا الظلامَ وقالوا القولةَ السببا

ومِصرُ مَنْ علَّمت! لا البَدْعُ تكتُمه
عنهم، ولا خاطراتٌ كالسُيوف شَبا.

كأنها أنت، طلقٌ بالُها بندىً
كأنها أنت، زهرٌ مرجُها بِرُبى

واليومَ مِصرُكَ، مَن اطلقتَ، مصرُ مشت.
فاقرأك شعبَ هُدىً واقرأك شعب ظُبى !

تلك الكرامات في العقل ارتجتك أخًا
تلك البطولات في الحرب ارتضتك أبا.

في الصوت، في الموت، ها أنت العظيم !الا
افتَحْ مقلتيك عليك، استبعِدِ الريبا

انت الحقيقة ! طِرْ بالخاملين، أفِضْ
فيهم عتُوَّك، ضيءْ كالنور منسكبا،

سَيرَ الزمان الا سرِّعْ، هنا كسِلٌ
شروقُها الشمس في الشرق الذي اكتأبا.

*

آتٍ معي زهرُ لبنان وكنتَ صدىً
لثورة في بنيه تَنزِل العَصَبا

ليست من النار لكن مِن ارادتها
تُعطي الهنيهاتِ نبْضاً، تشربُ الغضبا.

إنزِل بقلبي، بِهَمِّ الأرز يومَ اسىً،
بالشيح بالريح، بالهبّات غِبَّ صَبا

إنزِل بما ضَجَّ في لبنان من ولهٍ،
بالكِبْر لم ينجرح، بالورد ما انتُهبا

بماردينَ أبَوا الا الحياةَ عُلىً،
بمُمْسكين بقرن الدهر مُطَّلَبا،

بِحبّهم، بضروبِ العزم في يدهم،
بقولهم للزمان: اركُضْ أم انتَ هَبا

تكنْ نَزَلت ببعضَ الصخر مِن جبل
له على المجد فضلُ المجد إن صَعُبا

*

هتفتُ باسمِك، ما لقَّبتُ، لي عُذْري.
مَنــذا يُلَقِّبهـا الّا بهـا الشُهُبـا ؟

طهَ حسيـن ويكفـي ! ذاكَ منتهَجـي
أنا كما السيفُ طَلْقًا أنـزِل الكُتُبـا.

وهل كنتَ الموت؟

هُمُ سألوني : السيفَ قلناهُ : هل تُسعَدْ؟
أجبتُ : أجعلوها اثنين : سيفاً ولا يُغمد

أخي نوفلُ، الأبطال تُبكى. احتَفِلْ بها
دموعي، ويَبكي فَرقَداً في العُلى فرقد

شُغِفْتَ بِشعري؟ قُلتَه شَكَّ رامحٍ؟
لَبيتُ قَصيدي أنت، والكَلِمُ الخُرّد

* في رثاء نوفل الياس

تُصفّق لي، ها صَفحتي قُبَّةُ السما
بأنجمها ما جَمّع الله أو بدّد

تقيّم شعراً؟ حسبُه منكَ هَتْفَةٌ،
لها الله! بَدْرُ التّمّ خُطَّ على أسود

وهل كُنتَهُ الحَرْمون؟ وجهٌ الى هُنا
ووجهٌ الى هَنَّاك، طَلْقٌ فلا يُربَدْ[1]

وماذا هُنا... هَنّاك؟... قُل كلُّ بُقعة
حللتَ بها عاطيتَها خَمرةَ السُؤدَد

فديتُك! مِن لبنان أنت زَها بها،
جَمعتَ كما المُعطي، تركْتَ كما المُفرد

لأشمَخُ تِيهاً حين أذكر قولةً
لك، اختصرت نُبلَ الوفا ومَضت تَشهد :

---

١) لا يُحبس

ـ لأهلٍ أنا أصبحتُ منهم أظلُّني،
« وإن يَجحدا أُعتَبْ جريحاً ولا أُجحد

أنا الجبل العالي، كما الله جارُه،
أجَرّدُ مِن ورد؟... أجرّد لا أجرَد

*

ويـا ناثِـرَ الـدُرِ، المنابـرُ اوّهت
عليك، وجُرحاً بات مَن كان قد غرّد

وقد أخذت عنك المنابرُ لَفحَهـا،
وطايبها الشِعر الـذي بعدَكَ استوحد

شهدتُكَ ما بيـن الدُهـاة أميرَهـم
وسابِعَها ـ فَلْتكتَمِلْ ـ عُمُدُ المَعبد

ويُصغَى اليك، الحُجَّةُ البكر تَكتسي،
على فَمِك التيّاة، بالرونق العسجد

فإن أنت فَنَّدتَ، السيوفُ تقطّعت
وإن أنت أَيَّدت، الهُدى كلُّه أيّد

شهدتُك، هل لي أن أردَّك زعزعاً؟
تشيل بقوم أو تُحّطُ ولا تَجهد

هدوءٌ كما الأولمب، رَبٌّ لأمرهِ
أقول الروابي انصعن وامتثل الجلمد

*

وبِنا خُطبةً لا النَسْيُ مَسّ جلالَها
ولا ليلُ مَوتٍ عاثَ فيها أو استنفذ

تَظِلِّين صَرحاً للأولى عبدوا النُهى
وربَّ شُموخٍ في جبينِ النُهى يُعبد

*

بلوتُ شجاعاتٍ أنا، وعَجَمْتُها
بما لِيَ من كِبْرٍ، ومن هِمَم مُرّد

ورحت بها أَفري العقول، أَحكُّهـا
على العاصف استوحيتُه البحرَ إن أزبد

واضربها في الهـم والغـمّ، انتخـي
كأَنْ قدرٌ عزمي، كأَنْ قُبَبي مُيّـد

ولكنْ مِن القبر استمع لي نهرتُها :
له، يا شجاعات، اسجدي، كلّهم سجّد

*

ويا نوفلَ الأبطال، جرّعك الأسـى
أنِ الأرزُ في لبنان أُوقِفِ لا يصعَد

وأغـمضتَ عينـاً خلّفتهـن سُيَّـاً
جبالاً وشطآنا وبحراً بنا استمجـد

وعـدتُك : لبنـانٌ يعـود، وسيفُـه
على الكل، لا أبهى لِشعب ولا أخلد

جِمى عبقريٌّ، لا الى الغير عينُه
ولا القرش مولاه، وعدتُك لا يُفقد.



فهرست الكتاب

لي صخرة ٧
على شاطئ الذات ١٠
أجملُ الأعراس ١٤
فخر الدّين الثاني ١٦
الهُنَيْهَة ٣٢
تكسّرتِ الأسياف ٣٥
من وردتين ِ اثنتين ِ الشمس ٤٣
النهران ٥٣
اللون الآخر ٥٩
نهر الذهب ٦٥

كلامي على ربّ الكلام ٦٨
سائليني ٧٢
غنّيتُ مكّة ٨٥
نسَمَتْ ٨٨
شامُ يا ذا السّيفُ ٩١
مُرَّ بي ٩٤
من شاعرٌ ٩٦
المُعلّم ١٠٧
أغنية الحجَر ١١٦
مُلكٌ لك العَصر ١٢٣
داوِ شعري ١٣١
عملاق مصر ١٣٩
فليروِ الزمانُ ١٥١
أختُ الكتاب ١٦٠
رَصعْتَ بالي ١٦٦
آتٍ معي زهرُ لبنان ١٧٩
وهل كنته الحرمون ؟ ١٨٨
رجعت إليك كلك ١٩٣

الوثيقة التبادعيّة

« من منتج للاستهلاك
الى فنان حياته »

الطبعة الأولى ١٩٧٦
الطبعة الثانية ١٩٩١

رؤيا عن الله والكون

نظام سياسي، فن حياة

١

سكّان كوكب الأرض، عشيةَ الالف الثالث بعد المسيح، يمكننا القول انهم اصبحوا واقفين على حقيقتين :

الاولى : أن الانسان قَفز قفزة كبيرةً صوب معرفة ذاته. لم يبق يُرضيه ان نَضمن له عيشه وحسب ولا حتى رفاهَه

وحسب. اصبح يتطلّب لا أقل من أن يبدع أو يشارك في البَدْع، كأنما هو مزاملٌ لله.

الثانية : تعاسةٌ، اكبر تعاسة، ان نَقتلع الانسان من ايمانه بأنه باقٍ الى الابد. وكيف نريده يتصور الارض، الكوكبَ الذي ما كان قد كان، لولا نشاطُه هو الانسان، سوى صخرة بلا قيمة مرميّة في الفضاء، هي تبقى الى مليارات السنين وهو، الذي ثَمّرها وبَدَع مدنيّتَها، يَكُفُّ عن وجود بعد ٧٠، ٨٠، ١٥٠ سنة ؟ مع انه ليس في المعقول ان لا يكون الافضل وجد ليبقى أكثر. ان مجرد هذا الشعور، عَصْرَ أخذوا يقدرون الجودة في وجه الكثرة، أعاد الايمان بأبدية الانسان. مع كل موكبها: اللهّ قادر على كل شيء، بادعٌ اذن وله السرمدية، والى جنبه : خليقتُه التي تُكرَّم أو تُذَلّ بقدر ما تروح تقرُب ان تصير مِثلَه أو تَبعُد. وفي اللغة اللبنانية ثلاث مفردات : « سرمدية »، « أزل »، « أبد » ـــ ليس لها في اللغات الأوروبية إلا مفردة واحدة ـــ بمستطاعها أن تسهم في توضيح علاقة الانسان بالله. ان السرمدية، بجزئيها الازل والابد، يَملكها الله وحده. الأزل، اعني الماضي الى ما لا حد، لا يملك الانسان منه ولا ثانية. من هنا وجوب أن يتّضع، الى حد

الانمحاء، امام الله. أمّا الأبد، اعني المستقبل الى ما لاحد، فيملكه الانسان هو والله معاً. من هنا، بالمقابل، وجوبُ ان يشعر بكرامةٍ أجملِ الكرامات .

أن يضارب لا على أقلّ من أن يدع ولا يتنازل عن الايمان بمزاملة الله في انه باقٍ الى الابد، بهاتين الاثنتين يتحدّد اليوم الانسان. ولربما يكون هكذا، في بعض الكواكب، كلُّ عاقلٍ راق سوف يَلتقيه الانسان.

٢

هذا الوعي كان موجوداً في التاريخ، بشكل ومضات نور. وومضات النور هذه هي التي جعلت الانسان، حتى فيما كان يتخبط، يوجد انظمةً سياسية يَحكم نفسه بمُوجبها، ويمضي خطُ تطورها مع خط وعيه لله والكون.

فلسفة حُكم، أعني رؤيا عن كيف سياسةُ النـاس، موضوعٌ شغل كل الادمغة الكبيرة، على تَنَوّع نشاطها : من تور وفيثاغورس الى لينين وتشرشل، وبينهم المثلث الاغريقي : سقراط وافلاطون وارسطو، واصحابُ النور الكبير : دانتي وشكسبير وغوته وفاليري، والعقلان غيرُ العادِيّين : اوغوسطينوس والاكويني، لكي لا نتكلم على

الذين وقفوا انفسهم على السياسة كمكيافيل وهوبس. كلّ من هؤلاء اتخذ لنفسه مُنطلَقاً بعينه. وإنما يخيّل اليّ ان المنطلق ذا الوزن ينبغي ان يكون السؤال الخالد : « انا، الانسان، باقٍ أم لا، اكثر مما هي باقية ترابٌ وشجرة ونجمة ؟ » سؤال الاسئلة هذا، عن البقاء، يستتبع فكرةَ وجود من هو رب البقاء : الله. ان العباقرة الذين رصفوا مداميك المدنية، على مدى التاريخ، هزّهم اكيداً هذا الموضوع اكثر مما هزّهم ما اذا كانوا سينامون على الطوى أو في بيت سقفُه يدلف.

كيف رأى الانسان هذا الخط الآتي من الله صوب الانسان مكملاً طريقه صوب الانسان ـ الموهبة، هكذا تَفتّق له أن يَعمل حكوماتِه.

تعال نمشي مع هذا الخط .

الله، او الاله الواحد، اول ما رآه الانسان رآه قوة وقادراً على كل شيء. اذن هذا الانسان ينبغي أن يكون له مَلِك يحكمه لا يستهان بما له من قوة ولا بما له من قدرة على كل شيء، ولو انه لا يتسمى احياناً ملكاً. وهكذا بدأنا كلنا ملكيين. اعني مشدودين الى حكم فردي أو شبه فردي، المهم انه دوماً حازم.

ونمضي مع الخط : وعَى الانسان انه الى جنب الله يوجد الكون، خليقته المتدرجة من حبة تراب الى مجموعة نجوم. بوحي هذه المعرفة رأى، الى جنب الملك : الوطن. وهكذا صرنا وطنيين. وكنا في بعض الاحايين نلحد او نتناسى الله ولا نعود نأبه إلّا للكون، ونعمل حكومات بعيدة عن القيم التي تستوحي القيم الالهية. ونظن اننا اذا هدمنا المَلِك او الحكم الحازم، نكون خدمنا الوطن. لكننا لا نلبث ان نعود ندرك ان الذي تهمه الوطنية لزامٌ عليه أن يستمر تهمّه الملكية، كما أن الاهتمام للكون لزامٌ أن يظل مستلهماً الاهتمام لله.

ويواصل الخطان مُضيَّهما : يصبح الانسان عارفاً بأن الكون ـ الخليقة، افضلُ جزء من اجزائه، ذِروتُهُ، تاجُه، هو الانسان. بالموازاة، يصبح الانسان عارفاً بأن افضل شيء في الوطن هو الأمة. المتر المربع من ارض الوطن مهم، لكن اهم منه المواطنُ الواقف عليه. ويولد حكم الامة. وهكذا نُصبح أُمْويين أو أنتر أُمْويين. وهنا، في مرحلة اكتشافنا ان الانسان هو تاج الخليقة، تتعقّد متطلباتُنا وتتعقد الانظمة السياسية التي تطمَح الى ارضائنا، ولكنها تظل في روحها واحداً.

والخطان اللذان سيمضيان سيظل الواحد منهما يؤثر في الآخر ويلهمه. الآن، بات ينبغي لنا أن نبدأ نتبين أنه، بعد الانسان، يوجد الذي ليس أيما انسان، يوجد الانسانُ البادع، ذاك الذي خلقه الله ليؤازر الله في استكمال بدع الكون. وهكذا يكون الخط السياسي ماضياً لا فقط صوب الامة التي تُنبت هنا وهناك افراداً بادعين وانما اكثر: صوبَ الامة المتبادعة. لفظنا كلمة جديدة اشتققناها خاصة لِتعبّر عن مفهوم جديد يقول انه ليس بمستطاع الفرد ان يبدع، بحق وبسهولة، إلّا اذا راح، في كثير أو قليل، يبدع معه سائرُ الناس ويُبدع حلمُهم معهم وأدواتهم التي هي بدورها بِدَع، إلّا اذا راحوا هو وهم يتبادعون. وان يتبادع الفرد معناها ان يبدع نفسه والعملَ الذي يبدعه والاشخاص الذين هم سواه وأحلامهم وأدواتِهم، وهؤلاء جميعاً يعودون بدورهم يزيدونه قُدرةً على التبادع. وهكذا صار ينبغي ان نصبح تبادعيين.

الانسان وهو بدائي يتطلع الى أن « يَقتني ». بعدها يعلو على نفسه فيتطلع الى ان « يكون ». بعدها يعلو اكثر فيتطلع الى ان « يبدع ». اليوم اصبح ينبغي له أن يعلوَ على نفسه اكثر واكثر ويتطلع الى ان « يتبادع »، اعجوبة لا

يقدر على اجتراحها إلا اذا عمل هو والناس وأحلامهم البِدَع وأدواتهم البِدَع معاً.

٣

التبادعية، في الاجتماع والاقتصاد، نظامٌ يفرض سيادة اثنتين : الحرّية والجُودة، ولا بحال يُحَدّ من الحرية، ولا بحال تُفَضّل الكَثرة على الجُودة.

الحرّية التي بلا حد تفرض على نفسها ان تكون مسؤولةً تجاه نفسها. بعد هذا الفَرْض الذي تقوم به اختياراً، (اعني في نطاق الحرّية ايضاً)، تعود لا تقبل بأن يُشرط عليها شرط. هذا معنى أنها بلا حدّ. ان الوجود العظيم، الذي منه يَنبعُ كل شيء، هو حريّة. بنتيجة وعي هذه الحقيقة، التي كانت مبدئية ثم برهن عليها التاريخ، نُدرك ان افضل تفتّح للانسان يَتمّ في الحرية. لكي تتبادع يَستحيل ان يلزمك شيء فوق الحرية. وهكذا يَستحيل ان يوجد نظام اجتماعي واقتصادي افضلُ وادرّ على اصحابه وألَذّ تطبيقاً من نظام حر الى ما لا حد. من هنا ان الوسائل التي ابتكرها الانسان، في مستهل التاريخ، وخدمته لكي يمارس حريته بسهولة لا يجوز له أن يَرفضَها بشيء من

التهوّر او من الخفّة. مَثَلٌ على هذه الوسائل : المال. إن تَصنيمَ بعضنا للمال، ذاك الذي جعل المال احياناً يشمّر نفسه لصالح نفسه، يجعَل الانسان زلْمةً له، هذا لا يجوز ان يجعلنا نستهين بالمال وبأنه أمرن وسيلة لتسجيل حصول الجهد الخيّر أو لنقل الجهد الخَيّر من مكان الى مكان. استبدالُ المال بأيّما شيء سواه ردة الى البدائية. المال كالابجدية : الشَّعب الذي عملهما كليهما عَملهما لا يزاد عليهما شيء. تَقدر ان تخربط في أصول استعمالهما، لا تقدر ان تستغني عنهما. ليس من مال أو ابجدية عند الجماد أو النبات أو الحيوان. والانسان عَمِل المال والابجدية ؟ المالُ والابجدية يبقيان للانسان. واضحٌ مَن المالك ومَن المملوك. تَتغيّر الادوار، يتخربط كل شيء. والحكاية التي يعرفها الصغار لكم يروح غالباً يتناساها الكبار : بدويٌّ من الصحراء عثر على قطعة من معدن، قال : « ويش ريدها » ورماها. وجدها ابنُ مدينة، عمل منها مفتاحاً ثمنُه ليرة. وجدها سويسراني، عمل منها ساعة ثمنها ٢٠٠ ليرة. وجدها عالِم، استخرج منها طاقةً ثمنها ملايين. قطعة المعدن الصغيرة تلك لا قيمة لها بذاتها، تصبح لها قيمة وتأخذ تكبر هذه القيمة بنسبة ما يُضافُ اليها انسان. ونستخلص : المال، المال الذي يَبقى عارفاً

حَدّه، يُعطي التعاملَ حُرّية هائلة. لهذه، المال خالد. ومِثلُهُ الرأسمال وحَقُّ التملّك. ألا فليجتهد الانسان، فرداً أو جماعة، ليجعل دخله بقدر ما يريد، التبادعية، التي لا تقدر ان تكون له إلّا اذا كانت لغيره، تُدفِّعُه من هذا المال، لصالح الجماعة، بقدر ما تتطلب اللعبة التبادعية. وهذه اللعبة، بقدْر ما تؤمن خير الجماعة، تكون مؤمِّنة خير الفرد. حرية في التعامل لا حدّ لها، ما مثلها سنَد لتفجير الخير. ومن الخير تتغذّى الموازنة لتكون قوية، أعني لتقدر على تنفيذ المُخطَّط الطموح. والموازنة اثنان : أخذٌ من المكان الواجب أن يؤخذ منه، وعطاءٌ للمكان الواجب أن يعطى. والتبادعية، التي هي حرية مسؤولة، تجعل المنتج تَلَذّه زيادةُ مساهمته سنة بعد سنة في تنمية الموازنة، اعني في تنمية تبادع أُمّته الذي ينبغي ان يوصل الى تبادع أُمم العالَم، أعني البشرية التي هي عائلته الكبيرة.

والجُودة هي التي ينبغي أن تشمل كل شيء : الشخص ــ انتَ والغير ــ العملَ، التعاملَ، الأهدافَ وحتى الاحلام. من هنا ان التبادعية جُودةٌ عمومية، للانسان وللشيء معاً. هي اذن رَفْضٌ مجتمعِ الانتاج للاستهلاك، رفضُ السُّرعة التي تَلْهَث ولا تُوصل إلّا الى المكان الذي

يان في النهاية أنّه متأخر عن المُنطلَق، رَفْضُ العمل الكَثْرويّ الذي لا يَنْقَعُ غلّة. على النقيض من كل هذه يكون الانتاج الجودوي، ذاك الذي يجودن نفسه ويجودِنك أنت صاحبه. يحوّلك من مُنتج للاستهلاك الى فنّانِ حياتك. فرْق، فرق كبير، بين أن تضيف الى نفسك وان تتجودن. التبادعية ليست حركةَ ازدياد، انها بالاحرى، حركةُ كَسْر طَوق، نَفاذٌ الى درجة في الوجود أعلى. حتى المعرفة، المعرفة العظمى، تصبح، على ضوء التبادعية، جَوادات قلب ايضاً : نخوةً، وعطاء، ومحبة للكلّ، وصِدْقاً، وقدرة على تذَوق الجمال، وشجاعةَ كلمة خلّاقة، ولفتةً تلف الكون وما بعد الكون، ومضاربةً على لُعَبِ شَبيهةٍ شيئاً بِلُعَبِ الله.

فهرست المجلد

كما الأعمدة ٥
الوثيقة التبادعية ٢٠١



